رواية

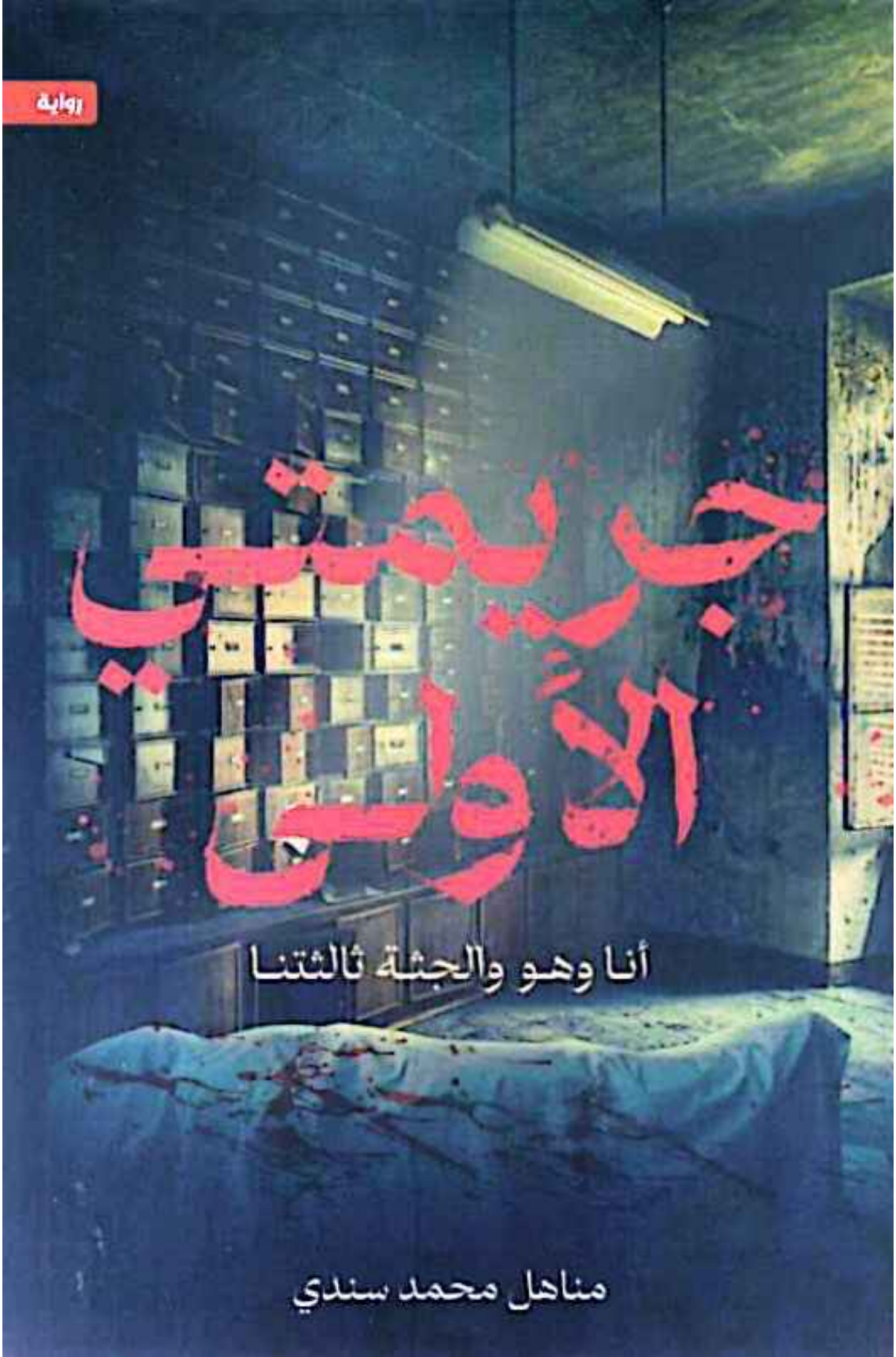

جريمة الأولى

أنا وهو والجثة ثالثتنا

مناهل محمد سندي

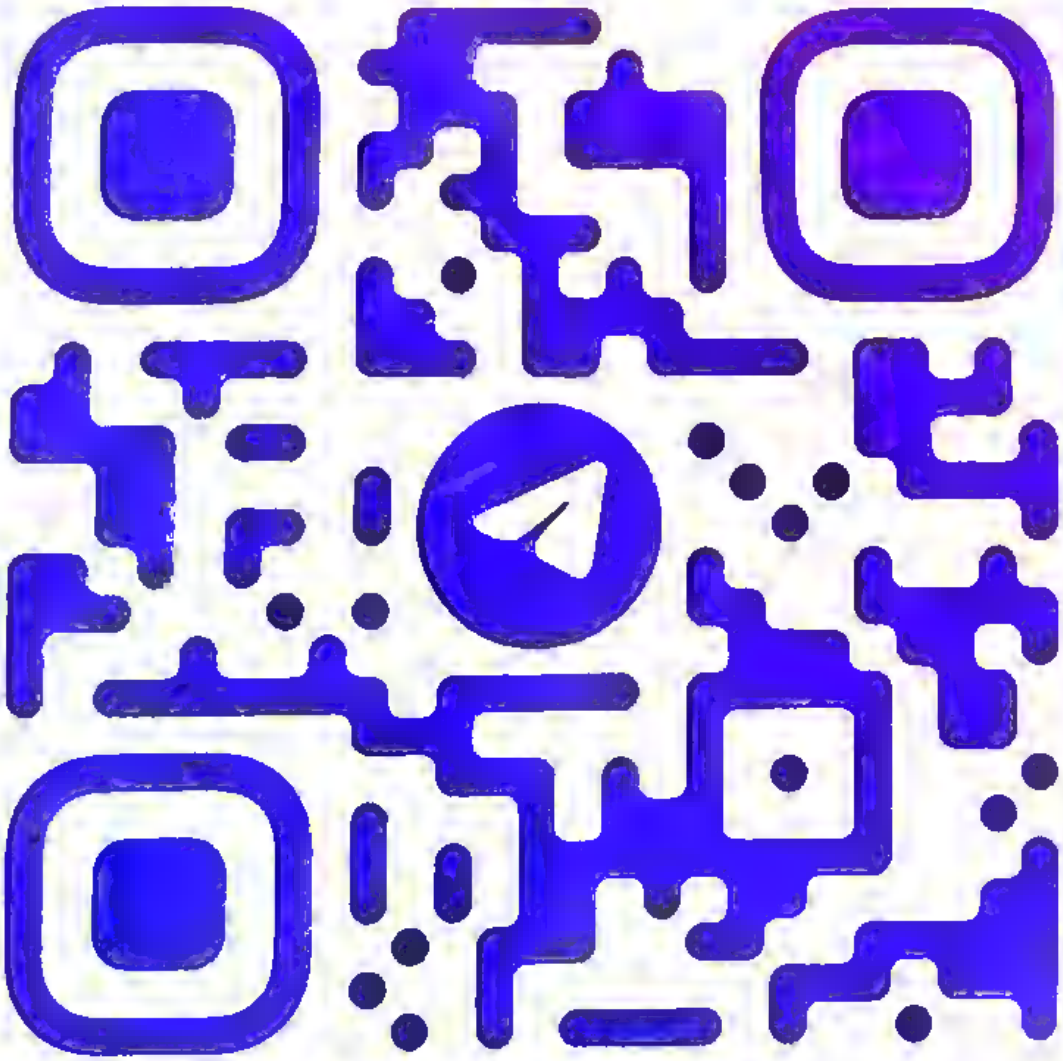

قناة رَقَش

@N_BHS2

جريمتي الأولى

رواية

مناهل محمد سندي

M_sindi82

manahilsindi

manahilsindi

الطبعة الثانية

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

إهداء

إلى أقوى امرأة عرفتها...

أنا

بودكاست جريمة... مع معتز

كيف نبدأ حكايتنا؟

هل تريدون سرد القصة منذ البداية؟ أو من المنتصف؟ أم من النهاية؟

على فكرة.. هذه القصة بالتحديد يمكننا أن نعد أيًّا من أجزائها البداية أو النهاية أو المنتصف.. إنها أشبه بحلقة مترابطة لا بداية لها ولا نهاية معينة..

كل من يجزم أن مرحلة ما هي البداية، يجد أن خيطًا من النهاية يمتد فيها.

جريمة جعلت من سمع بها يصدق أن ما في الأفلام أبسط بكثير مما قد يحدث في الواقع.. وأن النفس البشرية يمكن أن تتحول غولًا إذا وضعت في ظروف محددة..

لقد استطعنا في بودكاستنا اليوم أن نكشف عن هوية صاحب الجريمة التي هزت مياه الحياة العذبة في تلك المدينة.. وجعلت الرأي العام يشتعل لأسابيع..

قضية تضمنت فضائح شرف.. قتل.. تشويه.. وجرائم أخرى سنسمع بها معًا...

أشارت أصابع الاتهام إلى أشخاص كثر.. هل هو رجل.. هل هي امرأة.. هل هي عصابة؟

ستعرفون الآن من مرتكب تلك الجريمة.. وسيبدأ الحوار....

المقدمة...

ـ أرجوكِ.. يجب أن تفعليها..

ـ لكن هذا صعب.. والله إنه صعب..

ـ لا بأس لن يكتشف أحد ما حدث.. أنتِ بريئة وليس لكِ سوابق..

أعادت سارة ذلك الحوار مع نفسها ولعنت نفسها ألف مرة.. كيف تفكر فيما هي مقبلة عليه؟

هل يصدق أحد أن الفتاة التي يضرب بها المثل في الالتزام تقوم بهذا العمل القذر؟

سأستغفر.. سأصلي ليل نهار حتى يغفر لي الله ما قدمت. شعرت بكل كيانها يهتز وبمفاصل جسمها تذوب وهي تقبل على الغرفة التي ظلت ليلتها السابقة تتخيلها من كل زاوية..

لا بأس.. يا سارة.. لا بأس.. لن يأخذ منك الموضوع سوى لحظات وبعدها لن تعاد هذه الكرة أبدًا..

دخلت غرفة الأرشيف وأقفلت الباب بكل ثقة..

الفصل الأول
سارة

- تفضلي يا عسل!

قلتها وأنا أمد يدي بورقة عينة العطر إلى الزبونة المحتملة..

لم تعرني انتباهًا كما توقعت.. لكن الكاميرا المثبتة على مكان وقوفي في الكشك تحتم عليَّ أن أقدم الورقة لكل من يمر أمامي..

امرأة.. رجل.. ساعي بريد.. أو رجل إطفاء.. لا يهم..

بعد مضي بعض الوقت بدأت أعد الأشخاص الذين يتناولون مني الورقة والذين يرمقونني بنظرات محتقرة.. ومن يرمقونني بنظرات أخرى مشفقة.. صرت خبيرة في تمييز كل فئة، فقد اعتدت قراءة النظرات..

أعترف أيضًا أنني أصبحت لا أبالي مع أنني في حياتي العادية أعد من أكثر الناس حساسية..

لكن لا بأس.. ما يحدث في العمل.. يبقى في العمل..

بعد مضي مزيد من الوقت أصبحت أستغل عدد الأشخاص في التسبيح وذكر الله.. فكل مرة أسلم ورقة، أتبعها باستغفار.. وبهذا أصبحت أتلهف على توزيع البطاقات..

"رب اغفر لي ولوالديّ.. رب اغفر لي ولوالديّ.."

نظرت إلى زميلتي شروق وهي تحضر وجبة الشاورما وتجلس في ركن الكشك.. أو (البوث) كما نحب أن نسميه.. مع أنها مجرد مسميات لكن الفارق بالنسبة إلينا يبدو واسعًا بين من تعمل في كشك وضيع.. ومن تعمل في بوث عطور راقٍ..

لا أحب تلك الحركة وأحسها غير لائقة..

لا ينبغي لرائحة العطور العبقة أن تختلط برائحة الكشنة والشطة.. لكن.. في كل دقيقة تمر عليَّ في هذه الحياة أقتنع أن فكرة تطابق أدمغة البشر أو حتى التشابه في طريقة تفكيرهم هي ضرب من الخيال.

بالنسبة إليّ.. أحب أن آخذ فترة استراحتي وأتناول غدائي في هدوء ثم أدخل دورة المياه وأغسل يدي وأفرش أسناني وأرتب نفسي وأعود للعمل نظيفة لامعة منتعشة..

لكن شروق لا تستطيع إضاعة وقت الاستراحة في تناول الطعام.. فما بين زبون وآخر تستطيع سرقة قضمة بعيدًا عن الكاميرات المتلصصة.

لكن..

لا أستطيع التعليق على طريقة عمل وتفكير واتجاهات شروق ومبادئها في الحياة..

أنهيت دوامي الطويل جدًّا وأخيرًا دخلت إلى المنزل أسير على

أطراف أصابعي.. لا أريد لأحد أن ينتبه.. أريد أن أدخل غرفتي وأقفل الباب مرتين..

لكن لديَّ قبل هذا مهمة مستحيلة.. هي أن أضع أكياس البقالة داخل المطبخ وأوزع علب المأكولات على الرفوف دون أن ينتبه أحد من أفراد البيت.. أريد لمواد التموين التي أجلبها أن تندمج مع تموينات المنزل الأصلية دون أن تكون لي بصمة.. ليس لأنني من قبيلة روبن هود.. أو لأنني باتمان.. أو شيء من هذا القبيل.. ولكن لرغبتي في التقليل من اللمزات أو الخراطيش التي تقذف عليّ من قبل عفاف.. ربة الصون والعفاف..

لكن هيهات..

ظهرت عفاف في وجهي.. نظرت إلى أكياس أدوات البقالة التي كانت على الأرض ثم أشاحت.. وكأنها تقول في نفسها المثل الشعبي: (يا ما جاب الغراب لأمه)..

زوجة أبي الحبيبة.. كم أحبك!!!

فكرت وأنا أشيح بدوري عنها.. وتوجهت لإتمام خطتي الفاشلة ووضعت الحليب والجبن في المبرد.. وبقية المعلبات في الخزانات..

دخلت غرفتي أخيرًا..

أحس بالذنب كوني دخيلة على هذا البيت.. بيت أبي..

أحيانًا أفكر أنني الطرف الشرير في علاقتي مع أبي وزوجته وإخوتي..

فمن يلومهم؟

كان أفرادها يشكلون أسرة جميلة متكاملة.. فأتيتهم مطلقة وأربكت حياتهم..

لكن ما ذنبي؟ أين أذهب؟

منذ عدة أشهر وجدت هذا العمل الذي لا تكفي أجرته لأن أستقل بحياتي..

أحاول دومًا أن أختلي بنفسي لعلي أكون فردًا خفيفًا في العائلة..

جربت أن أعطي المساحة الكافية لتلك العائلة لتمارس حياتها بطريقة طبيعية.. ومع ضعف سماكة الجدران.. أعيش معهم دون أن أراهم.. أسمع أحاديثهم.. أشاركهم ما يشاهدون في التلفاز. وأحتفل بمناسباتهم من وراء الجدار.. أشارك معهم ما يختارون منها أن أكون معهم خلالها.. هذا ملخص يومي الذي أسأل في نهايته السؤال ذاته:

هل هذه هي حياتي؟

ألا يوجد فيها (أكشن) بعد الآن؟

وكأن أبواب السماء كانت مفتوحة..

فقد استجاب الله لدعوتي..

وفي يوم قريب وعلى حين غرة،

سقط ذلك الأكشن.. من السماء ليغير مجرى حياتي إلى الأبد متمثلاً في (جثة).. كاملة.. أو بالأحرى

ناقصة....

الفصل الثاني:
بدر

توجه نحو سيارته ووقف بجانب الباب.. ارتفع بنظره نحو السماء ليدعو الله..:

ربي أعنّي على ما هوَ آتٍ..

كان بناء المركز المتعدد الشركات يقف أمامه شامخًا.. لمح لوحة مكتب الاستشارات القانونية والذي ذكره بأن الدنيا حقوق وواجبات.. وأن مصير الحق أن يعود لأصحابه..

فتح هاتفه ورد على المكالمة الفائتة:

- هل لي أن أعرف سبب تجاهلك لاتصالاتي؟

- لم أتجاهلها قلت لكِ إن لديّ الكثير من الجلسات اليوم... لقد قدمت مبرراتي سابقًا..

- لا تحادثني بهذه الطريقة.. هل مصدق أنت أنك محامٍ حقيقي؟ أنت مجرد مهندس لم تمتهن الهندسة ومستشار تنمية بشرية صاعد وشريك في مكتب محاماة. إنك لم تحصل بعد على رخصة محاماة..

ابتلع الإهانة وذكَّر نفسه.. امتص الغضب.. امتصه.. لن تغضب منها.. لأنها فعلاً.. غضبى.

أطلق زفرة وتابع نظره إلى السماء وكأنه يكتم دموعه:

- تفضلي.. ماذا تريدين يا ريفان؟

استمع إلى معلقة طويلة من ريفان.. زوجة المستقبل ورفيقة الدرب الجديدة التي اختارها بكامل قواه العقلية.. يعرف أن معها حقًّا إلى حد كبير لكن..

يريدها فقط أن تكون جميلة وتصمت.. يريد منها قليلاً من الصبر والتفهم.

يعرف أنه وعدها بتدليلها.. يعرف أنه اندفع معها في قصة حب لم يتخيل وجودها سوى في الأفلام..

لكن كيف يستطيع محو جميع الملفات السيئة من نظامها.. لم لا يكون قرصها الصلب عبارة عن طاعة وجمال وتقبل ودلال؟ لقد وعدها بالخروج معها مرة ومرتين.. وأوفى بوعده.. لقد وعدها بمجاملتها قليلاً في (فلوقاتها) التي تصنعها مع متابعيها. مع أنها تتهمه دائمًا أنه يفعل ذلك لمصلحته لا من أجلها..

طلباتها كثيرة.. وقد استجاب لمعظمها..

لكن اليوم.. لم يستطع

حسنًا.. إنه يظن أنها تملك بعضَ الحق أكثر من أي يوم..

لقد وعدها بالحضور في مناقشة رسالتها للماجستير..

وقد أخلف بوعده..

لم يستطع مواجهتها بالحقيقة.. لم يستطع إلغاء جلسة مهمة قد

تفيده في دراسة الحالة التي يتطلبها كتابه.. الموعد القادم المتاح سيكون بعد شهر.. مما سيعرقل الخطة التسويقية له كاسم بدأ يسطع في مجاله..

"مستشار أسري بنكهة محامٍ.. أو محامٍ ومستشار معًا.. يعمل من أجل الإصلاح بدلاً من الإفساد.."

هذا هدفه الذي ظل يعمل عليه منذ سنوات.. إنه العمل ذاته الذي كان سبب لقائها به.. فلم لا تدعمه؟

خطؤه الوحيد أنه لم يعتذر منذ البداية..

لكن خطأها أكبر.. لأن من مهامها أن تحتويه وتتفهم أولوياته! تبًّا لها! ألا تفهم أنه بصدد اللحاق بمعرض الكتاب القادم؟!!

حاول تلطيف الجو بسخافة لا طائل منها:

- هل تعرفين أن قطرات من المطر بدأت تهطل الآن؟

محاولة فاشلة نسي خلالها أن قطرات المطر لا تتناسب مع الجو المليء بالشحنات الكهربائية....

صرخ بنفاد صبر بعد أن أقفلت في وجهه الخط:

- النساء!

فتح تطبيق إرسال الزهور المعتاد.. طريقته التقليدية في حل الأمور.. كان شبه واثق أن تلك الهدية بالذات سوف يعاد شحنها إلى منزله مرة أخرى داخل كيس قمامة أسود.

تذكر نائلة.. زوجته السابقة.. لقد كانت تفرح بالورد.. لقد كانت تسامح كثيرًا..

لمَ ريفان ليست مثلها؟

لمَ كل وجع الرأس هذا؟

كلمة رجل مخلوع تخلع قلبه كلما تذكرها. كان دائمًا يذكر نفسه.. أنا أعمل في مجال القانون وأعرف أن المصطلح الصحيح هو أنها هي خالعت نفسها مني ولم تخلعني أنا شخصيًا.. لكن لا يهم.. يبدو أن الأمر سيان لدى جميع الناس.

لمَ فاض بها الكأس كما تقول؟ لمَ لمْ تظل الأمور على ما هي عليه؟

لمَ أنا مضطر لريفان ودلالها وعدم رغبتها لتقبلي ومحاولتها لتغييري؟

لماذا أرضى بكلامها الجارح الذي مفاده أنها رضيت برجل أكبر سنًّا طمعًا في الأمان والدلال والاستقرار؟

لمَ أحس معها أنني ضئيل جدًّا؟

إنني إنسان ناجح.. ونجاحي الآن في أوله.. سرعة الصاروخ يجب أن لا تتعرقل بزواج.. لمَ ورطت نفسي في مستقبل موازٍ لخط مهنتي؟

لديّ اسمي الذي بدأ يلمع في مكتب المحاماة الشهير

لديّ كتابي الذي أعمل عليه

لديّ صفحتي للاستشارات الاجتماعية والتمكين..

لديّ دراستي للقانون والتي ستجعل مبدأ (الشفت كارير) مفهومًا لدى الجميع.. أنا مثال وقدوة.. ألا تفهم هذا؟

لديّ ولدان على وشك تجاوز مرحلة المراهقة الصعبة.. لديّ.. ولديّ

تناثرت أفكاره هنا وهناك..

سأصالح ريفان..

سأعمل على المذكرة القانونية اليوم.. وأسلمها للمحامي سمير.. سأستشير شريكي سعد في بعض الأمور..

سأكمل تنقيح الفصل الثالث قبل البدء بالفصل الرابع..

سأزور حملة التوعية بالأمن السيبراني التي ستشارك فيها كلية براء..

وبالطبع لن أنسى حفل مودة..

وبالطبع سأتابع وصول الورد إلى منزل ريفان.

وبالطبع

وبالطبع

لكن الآن سأذهب إلى المكان السري.. إلى صومعتي التي لا يعرفها أحد..

إلى غرفة الأرشيف..

الفصل الثالث..
سارة

زاد إحساسي بالخطر وأنا أتحسس المقبض الذي أحكمت إقفاله للتو.. تيقنت من أني وصلت إلى مرحلة لا تراجع بعدها مع تزايد إحساسي بأن ما أقبلت عليه سيغير مجرى حياتي للأبد.. أما إن كان هذا التغيير للأفضل أو للأسوأ.. فذلك غير معروف.

سمعت صرخة مدوية أقرب للزئير:

-لأ لأ لأ لأ لأ لأ لأ

اشتد المطر في الخارج والذي لمحته من النافذة المتناهية في الصغر والواقعة قرب سقف الغرفة الباردة.. تلفت حولي مذعورة أبحث عن مصدر تلك الصرخة وتساءلت: هل دخلت وكر جني احتل تلك الغرفة التي قيل إنها مهجورة؟

لا لا.. سوف ألوذ بالفرار.. ما زال لدي الوقت للتراجع.. نقطة الـ (لا عودة) لم تصل بعد.

أمسكت بالمقبض المتجمد من البرودة لأفتح الباب وأهرب.. لا نريد غرفة أرشيف.. لن نقوم بتلك المهمة..

لكن الصوت عاد يزأر بكل وحشية..

- لن تستطيعي الخروج!

من أنتِ أصلاً؟؟؟؟؟

الفصل الرابع
المقدم أصيل

بلاغ عن جثة قتلت بوحشية.. متحللة منذ يومين.. موجودة في غرفة أرشيف خاصة بمبنًى يحوي مكتب استشارات قانونية وعددًا من الشركات الصغيرة.. في موقع وجود الجثة وجد رجل في منتصف الأربعينيات وامرأة في آخر العشرينيات وقد تم احتجازهما في تلك الغرفة لمدة تزيد على 12 ساعة..

لم يفهم في البداية ما حدث للجثة.. مسرح الجريمة مجهول.. ولا قاتل مشتبه به.... الفضيحة مدوية.. ووسائل الإعلام في أسعد أيامها.. فالمستشار بدر أحمد المعروف الشهير بكتب تنمية الذات وبرامج التمكين.. يبدو متورطًا في قضية لن تعود عليه إلا بالسوء.. مع فتاة وجثة..

قصة غريبة..

التحقيقات الأولية تفيد أن الرجل والفتاة تم احتجازهما في القبو القابع للمبنى والمخصص لأرشفة الأوراق والقضايا ووحدات تخزين المعلومات بسبب خلل في مقبض الباب والذي لا يفتح سوى من الخارج..

الاثنان ينفيان علاقتهما بالجثة ويزعمان أنها وقعت عليهما من السقف أثناء احتجازهما..

هل هي مجموعة من المصادفات؟.. ما علاقة بدر بالمدعوة سارة قاسم.. وما علاقتهما هما الاثنين بالجثة.. وكيف سقطت من السقف؟

من ناحية سارة فهي تنفي علاقتها بأي من الجثة أو بدر.. مع أنها لا تملك مبررات لأي شيء... لا مبرر مقنعًا لوجودها في الموقع ولا لتوجهها للغرفة ولا يوجد ما ينفي أو يثبت علاقتها ببدر ولا الجثة..

نظر إلى مائدة الغداء وإلى طفلتيه الجميلتين أمامه وزوجته التي لا يرى أجمل منها..

هذا المنظر الجميل أمامه يتنافى مع ما يراه كل يوم.. وبعيد كل البعد عن واقع حياة يعيشها كثيرون حوله.

يحمد ربه كل مرة أن ما بداخله وما كتب داخل أروقة عقله لا يمكن أن يخرج إلى العلن ويفسد الصورة العائلية التي يراها في بيته والتي تبدو من روعتها وكأنها إعلان لمنتج عائلي لا يوجد إلا في خيالات من صوره.

لا يواجه كثيرًا من القضايا الشائكة في مدينته المعروفة باستتباب الأمن..

يفخر دائمًا بأنه يعيش في وطن يطمئن فيه الأب لأن يدع أطفاله يلعبون في حديقة الحي.. وتطمئن فيه الأم لأن ترسل ابنها ذا الاثني عشر ربيعًا إلى البقالة القريبة ليجلب لها القشطة..

لكن..

لا يخلو أي مجتمع من نزوات شياطين الإنس والجن الشراذم التي تعيث في الأرض فسادًا.. والتي تستحق أن تنال أشد العقاب.

لقد استلم الملف للتو.. وقرر أن ينعم ببعض الراحة مع طفلتيه الحبيبتين.. فيبدو أن القادم من الأيام لا يحمل في طياته الراحة أبدًا.

الفصل الخامس:
سارة

لم أدرك إلا متأخرًا أنني قد أحتاج إلى المساعدة.. كان جميع من حولي يعزون شخصيتي إلى قلة الثقة بالنفس.. أعيش صراعات عدة.. وأعرف أنني لست الفتاة الطيبة التي يراها معظم من يعرفني.. يكتنفني الخوف دائمًا.. الخوف من أتفه الأشياء.. من أن أضايق أحدًا... أو أن أوذي أحدًا دون قصد.. حياتي كانت عبارة عن سلسلة من الاعتذارات عن جرائم لم أرتكبها.. لكنني كنت دائمًا أشبع تلك الرغبة الجامحة بتطهير نفسي من الإحساس بالذنب تجاه ما قد أكون قد فعلت... بالاعتذار..

في نهاية كل مناسبة

أعتذر من زميلتي التي قضيت معها السهرة نحكي قصص طفولتنا ومغامراتنا..

نعم لقد ألحت عليّ الأفكار لأن أعتذر لأنني عندما قلت أمامها: (مثل باب النجار مخلع).. قد أكون قصدت عمها النجار..

أو ربما عندما ذكرت المثل القائل: (بعد ما شاب ودوه الكتاب).. قد أكون قصدت بضع الشعرات الرمادية التي تطايرت حول صدغيها..

لماذا أعتذر؟

النفس اللوامة أجبرتني..

ولذلك قررت عدم اللجوء للاستشهاد بالأمثال منذ فترة بسيطة..

ربما كان هذا هو السبب في أنني انتحيت بنفسي في غرفتي وعزلت نفسي في بعض الأحيان عن النقاشات في مجال عملي.. وتلك مصيبة أخرى لأن طبيعتي المرحة تتنافى مع رغبتي بتقليل الكلام.. وبمزيج من هذا ومزيج من ذاك، تمضي حياتي بتلك الشخصية المليئة بالمتناقضات..

والآن لا أعرف كيف أشرح وضعي وكيف أصف عودتي من التحقيق مذمومة مدحورة.. يغشاني الألم والحسرة والهوان والذل.. وقد اقترنت باسمي فضيحة لم ترد على أحد..

سألتني منار صديقتي التي أمطرتني بالاتصالات حتى قررت الرد:

- أي الفضيحتين تقصدين؟ فضيحة تورطك في مقتل عاملة النظافة؟ أو فضيحة وجودك مع رجل غريب لساعات داخل غرفة مؤصدة؟؟

لمَ؟ لمَ يا منار كل هذه القسوة؟ تعرفين حق المعرفة كيف أن شخصيتي هشة وسهلة العطب.. تعرفين أنني أحتاج الدعم والتعزيز إذا واجهت مشكلة في ارتداء فستان حين أشعر أنه لا يناسب جسدي.. فما بالك بتورطي في جريمة قتل؟!

أجهشت بالبكاء عندما سمعت الجملتين وقد انطلقتا كالقذائف في وجهي.. لقد ظننت أن دموعي قد جفت بعد قضاء ليلة في التوقيف.. وعند خروجي بكفالة وقبضة أبي محكمة بكل حزم حول معصمي.. تيقنت أن الدنيا قد ضاقت حولي ولن تتسع مرة أخرى..

لا أعرف ما أقول ولا ما سأشرح لهم جميعًا.. لم يمنعني إحساسي بالعار من أن أبرئ نفسي.. ولا من أن أبرئ الرجل المسكين الذي تورط معي في الأزمة.. قد أكون أنا من تورط معه.. من يدري؟ لكن ما حدث في تلك الليلة كان أبعد ما يكون عن المصادفة وأقرب ما يكون للخيال.. الحقيقة وضدها.. الأحداث المتتالية.. الباب المقفل..

المصيبة التي سقطت من السماء.. الماء المنهمر..

كابوس اجتمعت فيه كل مخاوفي في مكان واحد وزمان واحد..

لقد انهارت حياتي فجأة وانقلبت رأسًا على عقب..

كانت حياتي على وشك أن تَزين.. كما يقول دائمًا أخي جواد..

لقد تقدم لي شخص مؤخرًا يبدو عليه الصلاح..

كنت سأنتقل من حياتي الرتيبة التي لا زوج فيها ولا ولد ولا وظيفة مجزية إلى عالم آخر.. إلى تجربة أخرى..

حجر في بِرْكة حياتي يحركها بدلاً من الركود الذي استمر 5 أعوام..

لكنها لم (تزن)..

سقط فوق البِرْكة خرسانة إسمنتية متآكلة الأطراف.. قبيحة.. أضاعت الماء المتبقي في تلك البركة.. واستقرت من غير بارقة أمل توحي بأنها ستتزحزح.

الفصل السادس
المقدم أصيل..

وضع أصيل جميع المعلومات بعد دراسة الملف. يحب دائمًا تدوين ملاحظاته بطريقته..

لا يحب الخرائط الذهنية والأسهم في التحليل.. كما أن الطريقة التي يراها في الأفلام والمسلسلات من وضع الصور المترابطة على جدار فسيح تثير إعجابه.. لكنه لم يتدرب على هذا الأسلوب.. بل تبدو طريقته التقليدية في صنع الأسئلة والأجوبة أكثر منطقية له في التحليل.

رسم جدولاً على شاشة الحاسب المحمول وبدأ بكتابة كل ما امتصه من دراسة القضية..

تناهى إلى مسمعه صوت طفلتيه تلهوان وصوت زوجته المرتجف بطبيعته والتي تحاول أن تحد من إزعاجهما بجملتها الشهيرة:

- بابا يشتغل..

ابتسم عندما تذكر مداعبته لها بقوله..: إن صوتها أكثر إزعاجًا وتشتيتًا له من أصوات فوضى البنتين.. لكنه لا ينكر أن لصرختيها المتتاليتين تحذيرًا موضعيًا للإزعاج يبقى أثره لمدة نصف ساعة ثمينة:

المجني عليه: زينب إسحاق

العمر: 26 عامًا

الحالة الاجتماعية: متزوجة: حامل في الأسبوع الثلاثين.

وقت اكتشاف الجثة: بعد التحليل المبدئي اتضح أن الجثة متوفاة قبل حوالي 72 ساعة قبل اكتشافها من قبل المشتبه بهما الأول والثاني.

المشتبه بهم: بدر: موظف في المؤسسة القانونية ذاتها.. كان موجودًا في مكان اكتشاف الجثة..

سارة: لا علاقة مباشرة لها بالضحية.. كانت موجودة أيضًا مكان اكتشاف الجثة..

الأستاذ سعد: صاحب شركة الاستشارات القانونية.. رئيس زينب في العمل.. معروف بضعفه أمام النساء.

إمام: زوج الضحية.. مراسل في المؤسسة. الوضع المادي سيئ.. معروف بتعنيف الضحية في أكثر من مشهد.

أخرج ورقة وبدأ الحماس يدب في أطرافه.. لوحة المفاتيح لم تعد تجاري تتابع أفكاره.

ما هو الدافع؟

السرقة؟ منتفٍ

الاعتداء: محتمل

الشرف: محتمل

إخفاء دليل: مستبعد

مكان الجريمة؟ غير معروف

بدر: تربطه معرفة سابقة بالضحية لكنه لا يملك دافعًا مباشرًا

سارة: لا تربطها معرفة سابقة بالضحية ولا تملك دافعًا مباشرًا أيضًا

فكر أصيل لبرهة وأكمل خربشات قلمه المبعثرة..

المشتبه بهما الآخران: تربطهما معرفة سابقة بالضحية ويحتمل أنهما يملكان دافعًا مباشرًا..

صرخت إحدى الطفلتين مؤذنة بانتهاء نصف الساعة الثمينة.

الفصل السابع:
يوم غرفة الأرشيف:
سارة:

- لن تستطيعي الخروج..

نظرتُ خلف كتفي لأجد رجلاً يقف بكامل زيه الرسمي.. ينظر بعينين ليزريتين تتنافيان مع حالته السابقة.. جملته تفيد واقعًا محققًا لا طائل من الجدال فيه..

لماذا لا أستطيع الخروج يا ترى؟

تقدمت نحوه أرتعب وأرتجف.. كيف سأبرر وجودي.. وأجيب عن تساؤله القائل: من أنتِ؟

كيف أشرح له أني أرزح تحت ضغط شديد.. يجبرني على ما قمت به..

-من أنتِ؟ لمَ أنتِ هنا؟

ها هو ذا يضيف سؤالاً آخر وقد ازدادت نظراته حدة.. يسلطها عليّ بريبة مشوبة بقليل من الاحتقار..

تقدم قبل أن أجيب عن سؤاله.. وقبل أن يدوسني أو يطرحني أرضًا باندفاعه تجاه الباب ابتعدت لأفسح له المجال..

سحب المقبض مرات عدة وركل الباب وبقوة وهو يهزه عله يحرك ساكنًا في ذلك الباب الصلب..

نظر تجاهي وقد فقد كل رباطة جأش كان يتحلى بها للحظة مضت وصرخ في وجهي:

- لقد انتهى وقت الدوام.. أتعرفين؟؟ لقد عاد الموظفون إلى بيوتهم؟؟

ألم تقرئي اللافتة الكبيرة أمام الباب؟

(لا تقفل الباب)

- لا

أجبته وأنا أتحاشى النظر إليه..

ركل مجموعة الكتب التي كانت بجانب الطاولة وصرخ:

- لقد كانت مكتوبة باللغة العربية والإنجليزية.. هل كنتِ تريدين منا كتابتها بالصينية أو الإسبانية؟ أم أنك كنت تريدينها كمذكرة صوتية؟

بماذا يهذي هذا الرجل..

لماذا يشتمني هكذا؟؟ من أعطاه الحق في تأنيبي كتلميذة بليدة؟

صرخت في وجهه..:

- لم أرها.. لم أقرأها..

فتحت حقيبتي بحثًا عن جوالي.. لكنه صرخ مجددًا..:

- هذه الغرفة أقرب إلى قبو حصين.. إنها تقع تحت الطابق الأرضي..

هل ترين هذه النافذة؟ هذه أقرب نقطة لنا للأرض.. ما يعني أن شبكة الاتصال ضعيفة وكذلك الإنترنت..

نظرت إليه في بلادة متجددة..

أضاف وهو يمسح وجهه:

- لا أحد يعرف أنني هنا اليوم..

حتى العامل الذي يشرف على المؤسسة قد لا يعرف بوجودي هنا لأنه في إجازة.

وهل أخبرك بمعلومة قد تثير اهتمامك؟ غدًا هو الجمعة.. هل تسمعين؟.. الجمععععععععغة!

أعرف هذا الوجه؟؟ وذلك الصوت.. هل هو من زبائن المحل؟

تجاهلت كلماته ودرت في الغرفة الباردة رافعة جهاز هاتفي لعلي أجد علامة لشبكة ولو ضعيفة وقلت وقد بدأت الدموع تحتبس داخلي:

- لا بد أن هناك طريقة.. لا بد..

- لا يوجد طريقة.. لا تتذاكي..

نظرت إليه وقد فاض بي الكيل:

-ولمَ تجلس في غرفة بهذه المواصفات؟ باب لا يفتح وشبكة لا تلتقط.. هل هذا قبر؟

همَّ بالرد لكن صوت الرعد الهادر وزخات الأمطار المشتدة أخرستنا كلينا.

فجأة بدأت أستوعب المكان حولي..

إنها غرفة صغيرة مليئة بالأدراج.. أدراج في كل مكان.. جدارها مغطًّى ببلاط يشبه في تصميمه ذلك الذي نجده في دورات المياه.. لاحظت أن خيوطًا صغيرة من ماء المطر تسيل من تلك النافذة مع أنها مؤصدة. يبدو أن الرجل الغريب قد وضع حولها قطعًا صغيرة من القماش ليوقف ذلك التسرب.. كما أن بعض قطرات من الماء كانت تتساقط عبر مربعات السقف..

غرفة باردة أنوارها كئيبة من مصابيح (الفلورسنت) التي تشعرني بالغثيان.. لا يوجد فيها سوى ذلك الكم من الأدراج غير المتناهية وطاولة عتيقة وكرسي دوار.. وأنا وذلك الرجل...

إنني أعرفه.. أنا واثقة..

أظن أنه أحد المديرين الذين رفضوني في واحدة من الوظائف الكثيرة التي تقدمت للالتحاق بها..

متى سنخرج من هذه الغرفة؟؟ وكيف؟؟

كيف سأقضي ساعات إلى أن يتفقد أحدهم المبنى؟

هل سيفكر أحد في أن يخرج في هذه العاصفة الممطرة؟

وأبي.. هل سيفتقدني؟ هل سيقلق؟

لم آت إلى هنا بسيارتي بل جئت بسيارة أجرة.. لا يمكن لأحد أن يتخيل أين أنا..

قطع أفكاري اندفاع مدهش للماء.. نظرت باتجاه الخطوط الصغيرة لأجدها تحولت لشلالات مندفعة بشراسة نحو الأرض..

نظرت إلى شريكي في الغرفة

لأجد أنه تراجع للوراء تحاشيًا للمياه.. لكن

ما أن مضت دقيقتان.. حتى وجدت أن المياه الباردة قد بدأت تتسلل إلى قدمي أنا الأخرى..

الفصل الثامن
(في غرفة الأرشيف)
بدر

كاد يكون يومًا عاديًّا..

فكر بدر في نفسه..

هل هذه استجابة دعوة مظلوم انطلقت من فم ريفان؟

إلى متى سوف أنتظر مع هذه المعتوهة.. وسمعتي؟

هل ستدنسها هذه البلهاء التي ألقيت في وجهي كالداهية التي تأخذ ما في طريقها دون تمييز؟..

هل سيظن أحدهم أنني ألتقي بالنساء في غرفة الأرشيف؟ كيف سيتم اكتشاف أمرنا؟

والأهم.. من هي؟ ماذا تريد من قدومها بعد نهاية الدوام بساعة؟

هل أرسلها أحدهم لينال مني؟ هل هو أحد من الأعداء؟

قد يكون صاحب قضية الأموال الذي تدخلت في قضيته الشهر السابق..

أو يكون صاحب الشركة التجارية الذي تحققت من كذبه تلك المرة..

نظر إليها بغضب مكبوت.. تأملها وهي تلهو بهاتفها.. إنها لا تلهو.. يبدو أنها مصرة على أن تلتقط إشارة الهاتف. كم يكون عمرها يا ترى؟ خمسًا وعشرين؟ أم أقل.. مرت ثلاث ساعات تبللت فيها الغرفة وما زالت المياه تندفع من تحت الباب ومن النافذة الصغيرة..

ترك لها الكرسي وصعد فوق المكتب متربعًا وكأنه في وضعية يوغا. إلى متى؟ "لا ندري!"

فتح أحد أدراج المكتب وسحب مظروف بسكوت مملح.. أخذ قطعتين وقدم لها بقية المغلف.. نظرت إليه بخوف.. فحرك يده تجاهها بصبر نافد قائلاً:

- ليس مسمومًا.. كيف أسممك وأنا لم أعرف بقدومك؟

بعد أن التقطت منه المغلف أحس بقليل من الذنب لكنه ما لبث أن بدد ذلك الشعور بعد تذكره لصمتها المزعج.. وحضورها الأكثر إزعاجًا.

أحس بالحرج عند استيعابه وجود أنثى معه في الغرفة نفسها.. شعر بأنه مقيد.. شعر بأن زره العلوي يضغط على عنقه وبأنه يرغب في فكه ليتمكن من التنفس لكنه خشي أن تسيء فهمه.. ثم تذكر شيئًا قد يساعده.. فقال بصوت لم يألفه من نفسه:

- إحم.. لقد تذكرت.. هل تزين هذا الباب؟ توجد دورة مياه بسيطة داخله..

غاص قلبه في موجة ألم جديدة مع استيعابه للكلمات التي خرجت من فمه

... رجل وامرأة ودورة مياه.. يا للجمال!

لقد بدأت علاقته بالصومعة منذ أشهر.. وجد في غرفة الأرشيف ما لم يجده في أي مكان في المبنى.. لا يوجد زوار أو مراجعون.. لا يوجد شبكة اتصال أو فرصة لمتابعة وسائل التواصل.

وزاد جمال تلك الغرفة وجود ذلك الحمام المتواضع..

لقد أنجز منذ بداية اكتشافه لهذه الغرفة ما لم ينجزه قبلها.. أحس أنها سره الصغير وصديقه الوفي الذي يقدم كل ما عنده مع بساطته.

يبدو أن الضيفة الثقيلة كانت تحتاج إلى تلك المعلومة لأنها توجهت مباشرة نحو الحمام.

أخيرًا غربت عن وجهه واستطاع فك زره وخلع ربطة عنقه وتمكن من التنفس أخيرًا.

خرجت من الحمام وقالت وقد لاحظ أنها ثبتت نظرها نحو عنقه وإلى زيه الذي أصبح نصف رسمي:

- لو كان الحمام مناسبًا لمكثت فيه..

مضت ساعتان أخريان وقفت خلالهما الأمطار، توضأ واتجه نحو القبلة وبدأ بصلاة المغرب وهو يفكر..: كيف سيسجد في

مستنقع المياه.. لكنه سجد على أي حال.. تفاجأ عندما وجدها قد انضمت إلى صلاة الجماعة خلفه وابتسم هازئًا..

لو حلفا ألف يمين أنهما قضيا الوقت معًا في الصلاة.. فلن يصدقهما أحد.

مضى الوقت وقد صرخا فيه مئة صرخة باتجاه الباب.. وتقريبًا كسر فيه بدر كتفه في محاولة لكسره..

فقد أعصابه ثم سحب المكتب المهترئ تحت النافذة العالية.. تقدم نحو الغريبة وأخذ منها الكرسي بعنف.. ووضعه فوق المكتب.. ثم صعد فوقه.

تحرك الكرسي وكاد بدر يفقد اتزانه.. تحركت الفتاة بسرعة محاولة مساعدته في تثبيت الكرسي.

تجاهلها ورفع قدمه وصرخ باتجاه النافذة التي لم يصل إليها:

- الحقونااااااااا.. يا نااااس.. نحن محبوساااااان!!..

رفع يده بالهاتف.. وفتح المصباح لعل النور يلفت انتباه أحدهم.. ثم ما لبث أن يئس ونزل راكلاً الكرسي نحو الأرض.. نظر إليها مطولاً وكتم أعصابه لكنها سألت:

- الآن.. ماذا سنفعل؟

الآن ماذا سنفعل؟

اندفع بمدفعية كلامه نحوها..

- أنتِ السبب.. أنتِ السبب.. من أي مصيبة أتيتِ؟ وماذا كنتِ تريدين؟ ستخربين حياتي.. هل تعرفين أننا كلما ظللنا مدة أطول معًا زادت الأقاويل تبهيرًا؟..

إن كنتِ نكرة ولن تشكل نتائج أفعالك فرقًا عندك.. فأنا إنسان ذو وضع مختلف..

أخيرًا تبدلت ملامحها وتفاعلت مع انفعاله.. تقدمت بعنف وبدت وكأنها تهم بضربه:

- هل تظن أنني أتيت من الشارع؟؟ من تظن نفسك أيها الحقير لتنعتني بالنكرة؟ لم آت من أي داهية.. لقد أتيت من أجل.....

تقدم نحوها بعد أن قفز من المكتب:

- نعم.... هذا هو السؤال المهم.. أتيت من أجل؟

- .....

لقد كان متيقنًا..

- ظهرت الحقيقة.. لقد أتيتِ من أجلي.. أخبريني؟ من الذي دفعك لتفسدي حياتي؟؟ كم من المال ربحتِ من أجل صفقة حقيرة لتشويه سمعتي؟ هل هذا بسبب البحث الأخير الذي فزت به؟

- لا لا

أجابت وهي تعود بكرسيها إلى الوراء دافعة بالمياه الراكدة معها:

- لا لا.. لم آت من أجلك صدقني.. ولا من أجل بحثك..

- هل تعنين أنك لا تعرفينني ولم تريني من قبل؟

- لا.. لا أقصد هذا حرفيًا.. فأنت.. تقريبًا شخص معروف.. أعرفك من وسائل الإعلام..

أحس بنشوة لا إرادية تدغدغ كيانه.. إنه شخص معروف.. لكن تلك النشوة قد شابها بعض الازدراء لنفسه التي خالجها غرور في غير محله.. أحس أيضًا بقليل من الإحباط كونها لم تأت من الأساس من أجله كما تزعم..

- لم أتيتِ إلى غرفة الأرشيف إذًا؟

- لأحظى بقسط من الراحة.. أتيت لآخذ استشارة وعندما علمت أن الدوام انتهى نزلت هنا لأستريح..

راحة..

سبب غير مقبول لكنها من البلاهة ما يجعلني أصدق أنها قد تفعل هذا..

هل هذا هو السبب التافه الذي سأبرر لريفان وجودها معي؟ لأبرر للأستاذ سعد اختلائي بفتاة بعد وقت الدوام؟..

همَّ أن يصرخ مجددًا فمجرد وجودها فضلاً عن جركاتها العفوية يثير غضبه.. يحس أنه يود صفعها.. لكنه يحس أنها بريئة.. أنها ضحية مثله.. يريد الصراخ بوجهها.. يريد..

ولكن..

ولأن المصائب لا تأتي فرادى..

انطفأ هدير التكييف المركزي فجأة.

الفصل التاسع
في غرفة الأرشيف..
سارة

انطفأ التكييف المركزي..

شعرت ببعض الراحة التي منعت الرجل الغريب الذي كان يستجوبني منذ ثوانٍ من إكمال استجوابه.. من المؤكد أنه سيكون هناك أثر صحي على جسدينا نصف المبتلين واللذين لفحهما هواء التكييف القارس كل هذه الساعات.

خيم الصمت بيننا.. وشعرت أن رغبتي في البكاء ازدادت..

يبدو أن الأمور لن تحل إلا بالطريقة الصعبة..

بدأت نوبات الأفكار تهاجمني.. ماذا لو؟ ماذا لو وضعت رأس أبي في الطين؟

ماذا لو رفع هذا الرجل قضية اقتحام أو ما شابه؟

والأدهى.. ماذا لو افتضح أمري؟ ماذا لو عرفوا جميعًا أي نوع من الناس أنا؟ وأنني لست نزيهة بل مجرمة..

هل أعترف له؟ ربما سيساعدني

لا لا ليس وقتك

لا.. ليس وقتك لتطرقي على رأسي أيتها الأفكار..

لا تقتحميني أرجوك..

تسللت بكل وقاحة.. وبدأ الطرق..

أنتِ في السجن..

فضيحة..

مجرمة.. انتهت حياتك.. أنت مجرمة.. أبوك.. حياتك.. انتهت الحياة.. الشرطة.. جريمة.. جناية.. سابقة.. علاقات مشبوهة.. عفاف.. إخوتي.. منار.. جواد..

طق طق طق طق..

حرارة في الجسد.. خوف عارم.. آه.. حر.. لماذا أصبح الجو خانقًا؟

أعرفك.. أرجوكِ أيتها الحالة ليس وقتك الآن ولا مكانك..

بدأت أدور في الغرفة وأنا أركل المياه حولي.. حاولت أن أهدئ من روع نفسي.. لكنها هي نفسي المذعورة.. هي نفسي التي تخيفني..

ستذهبين إلى السجن..

سيغضب أبوك.. ستفتضحين.. لقد أفسدت حياة بدر أحمد.. سوف يقاضيك.. السجن.. جريمة.. أنا خائفة..

ومن بين تلك الأفكار المذعورة.. هناك خط مستقل بذاته يفكر..

بدر أحمد قدم برنامجًا تلفزيونيًا مهمًا استمر لعدة سنوات.. إنه

شخصية العام في استفتاء موقع المشاهير العرب.. إنه صاحب ملايين المتابعين في منصة إكس..

هل استضافه رامز في إحدى الحلقات.. لكنه رفض إتمام الحلقة.. أو أنها إشاعات؟

لكن خط الذعر وانقطاع النفس والغثيان بدأ يترجم في ملامحي..

لا أعلم كيف تسير الأمور في الدماغ البشري.. لكنني أصفق بقوة لتداخل الأفكار المختلفة وترجمتها في الشعور الداخلي في مخي أنا شخصيًّا.

مسحت قطرات العرق التي تجمعت فوق شفتي.. أكره هذا الشعور..

إنني أنفصل عن العالم..

كيف سأخرج من هذا الوضع..

تأملني وأنا أدور كالمجنونة؟

هل أنا مجنونة؟ نعم.. الآن... وهذه هي نقطة الـ (لا عودة) الحقيقية. أعرف جيدًا عندما أكون على حافة الدخول في أزمة جديدة.. لن تفيد معي الآن تمارين التنفس..

رأيت نظراته تتأملني.. أعتقد أن كلماته هي ما دفع بي للتصرف كالمجنونة.. إنه لا يعرف شيئًا.. لا يعرف عن حالتي.. لا يعرف كيف تحكم الأفكار شخصًا ما وتسيره بكل سهولة..

فجأة.. سمعنا صوت قرقعة في السقف.. مثل سحب أو طرق..

ارتفعت أنظارنا باتجاه السقف قبل أن تتلاقى لبرهة..

هل هو حيوان.. قطة؟ حمامة.. أو فأر في أحسن الظروف..

تحرك شبك المربع الخاص بفتحة التكييف..

ازداد رعبي.. وصحت:

- نيسسسسسي

أسكتني بدر بأن وضع أصبعه فوق فمه..

بدا خوفه مساويًا لدرجة خوفي.. وهو أمر لا يبشر بخير أبدًا..

ثبتنا نظرتنا إلى الفتحة السوداء..

نظر إليّ بدر ثم إلى السقف ثم صاح..:

- مرحبًاااا.. نحن عالقان هنا.. هل هناك من يمكنه المساعدة؟

نعم ربما هو شخص أتى لمساعدتنا..

صحت بفرح..:

- النجدة أرجوك!... نحن هنا

مرت ثوانٍ أو دقائق ونحن ننظر إلى الفتحة حتى بدأت أشعر بالرعب من جديد..

وفجأة..

رأينا كتلة ضخمة تظهر من طرف المربع المظلم..

وبسرعة ودون أن نعي ما يحدث

تسقط قطعة لحم ثقيلة ملفوفة بكيس أسود متشقق من المربع المظلم محدثة لطمة قوية على بركة المياه أمامنا..

وقبعت أمامنا جثة..

نعم!!

جثة..

لم أر في حياتي شخصًا ميتًا من قبل..

حتى عندما توفيت جدتي قبل نحو اثنتي عشرة سنة.. لم يسمحوا لي برؤية جثمانها..

ومع أنها المرة الأولى التي أرى فيها جثة.. لكن الحقيقة أنك حين ترى جثة فبإمكانك تمييزها حتى من المرة الأولى..

صرخت صرخة أرجعتني للوراء. وأسقطتني على مقعدي رعبًا..

صحت..

- لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله..

تراجع بدر معي.. أمسكت بيده دون شعور.. تشبثت بطرف ثوبه كمتسولة أبت أن تترك ضحيتها حتى آخر نفس..

لم أستطع منع نفسي من التحديق بذلك الشيء الغريب فكما ميزت بكل سهولة أن الماثلة أمامي هي جثة.. استطعت التمييز أنها جثة غير مكتملة..

تدلت إحدى الذراعين من جانب في الكيس.. وظهر طرف شعر من جانب آخر فيه..

بدت لي قصيرة نوعًا ما و(مكعبرة) إلى حد غريب..

لون البشرة غريب.. الملامح.. العينان.. إحداهما مفتوحة والأخرى مغلقة.. وما ذلك اللون الأسود الظاهر في مناطق على الوجه؟ لماذا لا أستطيع الكف عن النظر نحوها؟

لا أعلم كم من الوقت استمر صراخي.. لكن صوتي المشروخ أكد لي لاحقًا أن المدة لم تكن قصيرة أبدًا..

الفصل العاشر:
بدر

استقبل بدر زوارًا غير مرحب بهم بعد يومين من تلك الليلة العجيبة.. نظر إلى الرجل المتأبط شرًّا ودعا الله في سره ألا يكون ذلك الشرير قد قرأ ورأى كم التغريدات والمقاطع المحللة لقضية ابنته وتورطها معه في غرفة الأرشيف ومقتل زينب.

زينب..

لقد قتلت زينب!! العاملة المسالمة التي كانت تفرح كلما دس في يدها خمسة ريالات كل صباح.. زينب التي كانت تجر جسدها الممتلئ والذي اتضح بعد عدة أشهر أنه يحمل روحًا كتب لها ألا ترى النور.. تجره وهي تسحب دلو الماء والصابون.. زينب التي كانت تثير شفقته كلما سمع (إمام) زوجها يكيل لها الشتائم بلغتهم الأم.. كيف عرف أنها شتائم؟ طبعًا من خلال لغة الجسد وملامح الهوان التي اعتلت وجهها وملامح التشفي والاستبداد على وجه الزوج..

قد لا تحتاج مثل هذه القرائن محاميًا بل إن أي شخص لا دخل له في موضوع القانون كان ستتضح له.. كان لأي طفل بريء أن يعرف أن علاقة زينب بزوجها لا تخرج عن وصف المثل القائل:

الحكم فرحة ولو على فرخة..

فإمام.. لم يكنْ ولن يكون مديرًا ولا متحكمًا سوى على روح زوجته الضعيفة..

بدأت أفكاره تأخذه إلى أماكن كثيرة فحاول أن يشغل نفسه بإعداد الشاي لوالد سارة ليتلهى عن التفكير في السبب الذي دفعه لهذه الزيارة.. وكأنه يريد أن يهرب من مصير يكاد يراه رأي العين أمامه.

سارة الأخرى

رفيقة الصومعة.. وزميلة غرفة الأرشيف والشاهدة الثانية في تلك الليلة.

- ما الذي بينك وبين ابنتي؟

نظر إلى الرجل..

إنه رجل يبدو من الطبقة المتوسطة.. يشبه كثيرًا المعلمين الذين قاموا بتدريسه في الماضي.. يشبه بالتحديد مدرس العلوم الذي كان غالبًا ما يذكرهم بالعبر في درس الجهاز الهضمي قائلاً:

(عشان تعرفوا إن بني آدم وسخ)

استجمع قواه وحاول أن يكون مقنعًا قدر الإمكان:

- لا أعرفها يا عم.. صدقني كانت المرة الأولى التي أراها فيها..

- لم جمعتكما الغرفة إذًا؟

أحس بتحسن موقفه يزداد عندما رأى ملامح الغضب التي كانت تعلو وجه عم قاسم قد لانت. لقد كان كلامه ثابتًا وموقفه

قويًا في القضية.. بالطبع قضية القتل.. أما قضية الخلوة بسارة فلم يجد لها مبررًا سوى شهادة الشهود بأن غرفة الأرشيف كانت صومعته منذ عدة أشهر.. وبأنه لم يكن يشارك فيها أحدًا طوال هذه المدة..

بدأ يحس أن لثقته وثباته في الإجابة وقعًا إيجابيًا لدى والد سارة لذا أكمل بالطريقة ذاتها:

-كيف لي أن أعرف أن امرأة مجهولة سوف تزورني ذلك النهار؟ وكيف سأختلي بها في الغرفة وأنا أعرف تمام المعرفة أن الباب لا يمكن أن يوصد وإذا أوصدناه لا يمكن أن يفتح؟..

كانت مبرراته واضحة..

تابع:

- بدا للشرطة وكأن سارة قد دفعت إليَّ من أحد أعدائي للعبث بسمعتي.. وكذلك ظننت أنا.

وزاد من تعقيد القضية أن كريمتكم لم تقدم مبررًا لوجودها في الغرفة ولا سببًا لزيارتها غير المتوقعة.

أحس باحتقار نفسه عندما قدم مبرراته على حساب سمعة سارة.. فمع أنه لا ذنب له في كل هذا.. لكن جزءًا صغيرًا من قلبه لم يكن يرغب في أن يلحق أذًى بالفتاة.

لم يعرف أي المصيبتين أقوى: مصيبة جثة زينب ملقاة من مربع التكييف وكأن أحدهم أفرغ كيس سمكة زينة إلى أنبوب الصرف الصحي.. زينب.. مذبوحة ومبتورة الساقين..

أو مصيبة خلوة غير شرعية لفتاة مع رجل مشهور.

لم يعرف كيف يتعامل مع الوالد.. فموقفه كمتورط وشاهد على أقل تقدير يفرض عليه التعامل بطريقة حكيمة..

وموقفه من رجل اقتحم مع ابنته حياته وهشم كل طوبة فيها يفرض عليه تعاملاً من نوع آخر.

فوجئ بأستاذ العلوم حين تغير موقفه تمامًا:

اسمع يا بني.. نحن من خلفية اجتماعية لا تشبهكم أبدًا.. أنا أعرف ابنتي.. وأعرف أنها باللغة الدارجة (غلبانة لأبعد حد) أنا متيقن أن لا علاقة لها بك.. وأن لا شيء يربط بينكما.

لكن..

لكن نحن نعيش في مجتمع.. ومجتمع مفتوح..

أقرب الناس.. زوجتي.. بدأت تنظر إليَّ بنظرات مختلفة بعد الحادثة..

لقد عاشت سارة بلا أم.. فتاة بسيطة، مطلقة منذ خمس سنوات.. تحاول أن تعيش في هذه الحياة يومًا جميلاً.. تساعد في مصاريف البيت مع أني لم أطلب منها يومًا.. تحن على إخوتها.. كانت راضية بحياتها على أمل أن تكوِّن أسرة.. بعيدة عن المشكلات.. والأهم أنها محافظة على صلاتها وأذكارها..

لم يستوعب بدر.. أن ما قاله الأب لم يكن سوى مقدمة لطلب يده لابنته سارة على سنة الله ورسوله.

الفصل الحادي عشر
المقدم أصيل:

تأمل تفريغ الكاميرات.

يحب استجواب الأشخاص داخل مركز الشرطة لكنه يفضل عمل زيارة شخصية لمقر العمل.. أو حتى المنزل.. قد تجدي الحوارات الودية في استشفاف المزيد.. وقد تكون الراحة التي ترافق وجوده كضيف سببًا إضافيًّا في جعل المستجوب أقل تحفظًا في إجابته... فمن يدري ربما يحصل على إجابة مفيدة بين ثنايا الحديث؟

بدأ بإمام.. الزوج المكلوم:

- كيف كانت علاقتك بزينب؟

- علاقة عادية بين رجل وزوجته.. هي حامل بالمناسبة..

- أعرف.. قالها أصيل بهدوء..

ابتلع إمام ريقه ثم قال..:

- أعرف أنني أؤنبها كثيرًا.. هل قال أحد لك شيئًا؟

نعم.. قالوا كثيرًا.. قالوا عنك إنك وغد وإنك تضربها.. وإن هناك آثار أصابع على معصمها تبدو أنها لك.. وعضة على وجهها.. فكر أصيل في هذا لكنه لم يقله.. ليعطيه الفرصة للحديث.

عندما لم يجد إمام إجابة من المقدم تابع كلامه:

- أنا أعمل كثيرًا.. نحن فقراء وهي كثيرة الكلام.. في كل مرة أعود للمنزل تبدأ بالكلام الكثير.. أريد.. أريد أريد.. لا تسكت حتى أصفعها وتبدأ المعركة. تضربني وأضربها وتضربني وأضربها حتى نهدأ وننام..

- هل هذه هي طبيعة الحياة بينكما؟

- نعم؟ لكنني لم أقتلها! نحن معتادان على هذا.. تلك هي حياتنا.. وحياة آبائنا.. أبوها يضرب والدتها.. وأخوها يضرب زوجته.. لكن موت.. لا لا لا تصل إلى الموت.

- متى كانت المرة الأخيرة التي رأيتها فيها؟

- يوم الاثنين صباحًا.. خرجنا إلى العمل.. وافترقنا عند باب المؤسسة..

انفجر في البكاء.. هل يبدو حزينًا عليها أم خائفًا على نفسه؟

- بعد انتهاء الدوام هل أنتما معتادان على العودة إلى المنزل معًا؟

- أحيانًا.. لكن في أحيان أخرى كنت أتأخر لأنجز بعض الأعمال فتعود هي وحدها..

- وفي ذلك اليوم عندما عدت إلى المنزل ولم تجدها ألم تتساءل عن مكانها؟

- كانت لديها صديقة تعيش بمفردها وكانت تقضي عندها بعض الليالي خصوصًا إن نشب بيننا شجار عنيف كما حصل في ذلك

اليوم.. وأحيانًا كانت تعمل ليلًا في المناسبات مثل الحفلات أو اجتماعات العزاء.. في تحضير القهوة وتقديمها.. لذا لم أبحث عنها..

- لقد ظلت مختفية لليلتين متتاليتين.. ألم تشعر بالقلق عليها؟

- لم تكن المرة الأولى التي تبيت فيها خارج المنزل لليلتين متتاليتين لذا لم أستغرب..

- حسنًا لنعد إلى اليوم الأخير قبل اختفائها.. لقد تابعناها في الكاميرات.. ووجدنا أنك خرجت من المبنى في تمام الساعة العاشرة وأنها خرجت الساعة الثانية مساء من الباب الخلفي مع كيس قمامة ولم تعد بعدها..

هل كنت تنتظرها.. خارجًا؟

- لا لا.. لقد خرجت في مشوار..

- أين ذهبت إذًا؟ هل مسموح لك أن تخرج في أوقات الدوام؟ حتى إنك لم تعد بعد خروجك..

- ذهبت لأبتاع بعض الأغراض؟

- ما هي؟

- أأأ خضار لطعام الغداء.

تأمل أصيل بيت الزوجية أو غرفة الزوجية المتواضعة التي ضمت إمام وزينب.. نظر إليه وإلى المكان لعله يعثر على الشعرة التي من الممكن أن تفصل بين أرمل نادب وسفاح خبيث..

أشار إلى مساعده الرائد منذر ليتجول داخل المنزل..

تأملا موقد الغاز المتواضع الذي صفت حوله أوان غير مغسولة منذ أيام..

فتح منذر الثلاجة العتيقة التي تفتقر إلى النظافة..

يوجد حساء العدس بكميات كبيرة.. وبعض اللبن الرائب.

- أين الخضروات التي اشتريتها؟

- تناولتها

- ما كانت تلك الخضار؟

- طماطم..

- ماذا صنعت بها؟.. قال منذر وهو ينظر إلى كميات العدس في الثلاجة

- سيدي لقد نسيت.. لم أشتر الطماطم ذلك اليوم.. اشتريت بعضَ العدس..

أشار إلى الثلاجة بشبه ثقة وقد ظن أنه بذكائه هذا قد خلص نفسه من دائرة الشكوك.. إلا أن شوال العدس الضخم المهترئ الذي يبدو أنه لم يبارح ركن الغرفة منذ دهور قد دفعه داخل الدائرة دفعًا.

قال منذر هازئًا:

- هل اشتريت هذا العدس يوم الاثنين السابق؟ يبدو لي شوالاً قديمًا جدًّا فارغًا حتى منتصفه..

سدد أصيل نظره نحو إمام وقال:

- يؤسفني أن أخبرك يا سيد إمام أنك لا تقول الحقيقة.. ويتضح لنا أن هناك ما تحاول إخفاءه..

هل يمكن أن تشرفنا في المركز لإعطاء شهادتك كاملة؟

الفصل الثاني عشر:
بدر:

كل شيء حدث بسرعة.. فكر بدر..

جملة تقليدية يقولها الناس في العادة عندما لا يقيمون حفل زفاف.. أو عندما يتقدمون بدعوة متأخرة إلى أقرب الناس إليهم.. لكن في حالتهم تلك..

كانت من أصدق ما يمكن..

كيف قلبت تلك الحادثة حياته؟

كيف تم كل شيء بتلك السرعة؟

انفصاله عن ريفان.. أو تخليها عنه.. وزواجه بسارة..

كيف لاعبه العم قاسم وأرغمه تقريبًا على الزواج بها.. لم يكن ملزمًا أبدًا بتصحيح أخطاء غيره.. هو المستشار الفطن يجد نفسه الآن (مدبسًا) في هذه الزيجة غير المتكافئة.. متسائلاً: لماذا لم يقاوم أكثر؟

من هذه العائلة ومن هي سارة؟؟

لقد طلب منه العم قاسم بحرارة أن يتزوجها ولو لأشهر.. لأنه أقنع عائلته بأنهما متزوجان وأنها مساعدته..

وكلامه هذا زاد الطين بلة لدى عائلة ريفان..

وجعل منظره مثل "الزفت" أمام ابنيه..

لم يكن يشوب موقفه في القضية أية شبهة جنائية ولم تربطه أية علاقة بجثة زينب.. فقد كان مسافرًا خارج البلد في مؤتمر استغرق 10 أيام وعاد قبل يوم واحد من حادثة الأرشيف المشهورة.. وبهذا يكون قد قدم حجة غياب كفلت له البراءة..

ومع هذا تورط في الزواج بسارة

وقبل أن تنتقل إلى منزله..

يعلم أن أباها غير راض عن الموقف.. وأن الانكسار ومحاولة إصلاح الوضع ينسجمان مع غضبه العارم، غضبه الذي لم يكن واقعًا عليها بل على من قد يذكر سيرتها بسوء.. وأن لا مكان لها في بيت أبيها ما دامت لم تقدم تفسيرًا مقنعًا عن سبب وجودها مع بدر في الغرفة..

لذا قدم الأب ذلك التفسير الذي خرب بيت بدر..

إنه يتفهم الغضب الكامن داخل قلب الأب عن الحقيقة الغائبة بشأن زيارة سارة الميمونة لغرفة الأرشيف لأنه يحمل داخله التساؤل الغاضب ذاته.

لكن لماذا وافق؟ لماذا لم يرفع قضية من المكتب نفسه الذي يعمل فيه ليأخذ حقه الأدبي من سارة وأبيها وكل من تبلى عليه؟

لم يشأ أن يعترف أن موافقته على هذه المهزلة لم تكن فقط من باب الشهامة المطلقة تجاه سارة..

فهو يعرف أن منظره سيئ..

وأنه بعد ما أجرى حسبة بسيطة، وجد أن موقفه عندما يستر تلك الفضيحة بادعاء الزواج.. أهون بكثير من أن تترك تلك الإشاعة العارية بلا غطاء حتى لو رفع ألف قضية.. لأن الناس ببساطة ستعجبهم فكرة العشق الممنوع..

وهكذا أصبحت سارة عروسًا في بيته في غضون أيام.

نظر إلى صالة منزله وإلى الباب المؤدي لغرفة سارة تحديدًا..

تبًّا لتلك الفتاة الغبية!..

غبية؟

طبعًا..

ساذجة؟

أكيد..

متورطة في شيء أكبر منها؟ مئة في المئة..

هل صرحت به؟

لا...

تسربت الراحة داخله عندما لعب مع نفسه لعبة الأسئلة والتي غالبًا ما كانت تقوده إلى طريق الحدس الصحيح..

لم يعرف كيف يقنن علاقته بها.. فمجموعة لا بأس بها من الحوارات غير الودية.. والشتائم والاتهامات غير الحضارية وقعت بينهما.. فلا هو ذلك (الجنتل) الذي يمكن أن يحتوي فتاة في حماه.. ولا هي تلك الجذابة المثيرة التي قد تسلب عقله وتغير رأيه..

ابتسم باستخفاف لأنه لم يرها دون الحجاب حتى تلك اللحظة..

عاد وتساءل: كيف تمت تبرئتها من تلك التهمة؟ هل لها علاقة بمقتل زينب؟

إن علامات الفزع والذهول التي رآها على ملامحها تنفي التهمة عنها وبلا شك.. لكنه لم يستبعد فكرة أنها ربما تجيد التمثيل..

عاد ونفى ما تقدم من أفكاره.. فكل الأدلة تشير إلى أن من قام بالعملية رجل.. كما أن علامات العض لم تتطابق مع أسنان سارة..

عدا عن أن البصمة التي وجدت على الزر المعدني في سترة زينب.. لم تتطابق مع بصماتها..

اقشعر جسده عند تذكر ساقي زينب المفقودتين.

ضرب رأسه بقوة..

وأنب نفسه

كم مرة في اليوم يعيد ذلك التحليل الغبي في رأسه...

إنها ليست وظيفته..

إنها ليست مهمته..

حتى دبلوم القانون الذي يدرسه لا علاقة له بالجنايات..

يجب أن لا يرهق نفسه بتخيل أن مجرمة تسكن معه في المنزل وتقاسمه اللقمة والسقف.

فتح محرك البحث في هاتفه وكتب: كيف أحسن صورتي أمام المجتمع؟

يجب أن يحاول كسب ثقة ريفان..

يجب أن يصلح من منظره أمام الرأي العام.. الذي نعته بأبشع الجرائم..

حسنًا.. ليبحث عن حل.. بدلاً من أن يندب حظه كبائعة الحليب المسكوب.. لم يمنع نفسه للمرة المئة من البحث عن اسمه في مواقع التواصل.

فها هو ذا مبتز للفتيات في رواية أحدهم.. وها هو ذا يظهر كزير نساء في حساب آخر.. حتى إن بعضهم شكك في نزاهته وأخلاقه.. وفي مصدر أمواله..

وفجأة أصبح جارًا لصاحب الحساب الفلاني.. ومرة أخرى أصبح ابن عم قريب أخت لآخر.. ها هي ذي سارة تظهر في صورة قاصر تحت السن القانونية.. وها هو ذا يظهر بمظهر المتحرش بالأطفال..

وسلسلة من الإشاعات التي تحتاج أسابيع من العمل الدؤوب من قبل أكثر شركات العلاقات العامة نجاحًا..

نعم.. الحل..

استشارة شخص خبير...

يجب أن يقلب الموقف لمصلحته. يجب ألا يجعله عقبة.. بل سلمًا ليرتقي به إلى الأعلى

أليس هذا ما يقال على لسان المختصين وعلى لسانه هو شخصيًا في دوراته الناجحة؟

لكن ما أن ارتاح لتلك الفكرة، وبدأت أشعة الطيف الوردي تتسلل إلى فكره، حتى فتح الباب وظهرت منه امرأة..

أقرب إلى مسخ..

سارة.. زوجته أو عروسه الجديدة.

الفصل الثالث عشر
في غرفة الأرشيف
سارة

تمسكت في أطراف عباءتي وأنا أشد على نفسي كالمجنونة.. كان صراخي قد خفت لكن الحالة العصبية المتجددة التي تجعلني أنظر إلى الجثة مرارًا وتكرارًا وأجز على صفي أسناني لم تنته..

كل ما كنت أقوله هو

- يسسسسسسسسي مع صوت حاد يصدر من منطقة ما في بطني..

لم أستوعب ما أرى..

وجهًا مشوهًا.. شفتين بلون الرماد.. عضة على خد المرأة الممتلئ..

إنه جسد بلا شك.. لكن أبعاده غريبة..

مربع.. أو مثلث..

كلما نظرت إلى طرف أو تفصيل في ذلك الجسد وجدت نفسي أعض العضة نفسها وأصدر الصوت نفسه..

كنت أسأل بدر طوال الوقت:

- ما هذا؟؟

مئات المرات طرحت فيها هذا السؤال ولم أحصل على إجابة..

وضع بدر لم يبشر بالخير هو الآخر.. فقد انطلق في نوبة مجنونة من الضرب على الباب الفولاذي الذي يجب أن يحصل صانعه على جائزة أفضل صانع أبواب.. كما ينبغي على ملاك البنوك استشارته في تصنيع أفضل الأقفال قوة وأكثرها صلابة..

لكن..

لم يسمعنا أحد.. ولم يفتح الباب.

بدأت بالتشنج.. كنت أعرف أنني قد لا أصمد كثيرًا.. بدأت أفقد أعصابي.. صفعت خدي صفعة واحدة..

لكنني لم أحظ بالراحة..

فصفعت خدي الآخر صفعة.. لكن..

أمسكت بأعصابي لشحذها ومسحت نهري دموعي.. ثم سقطت على خديّ الاثنين بصفعتين مزدوجتين..

رفعت قدمي وخلعت حذائي.. فانسكب منه الماء العفن المستنقع تحتي.. ماء الغرفة التي تحوي الجثة..

هممت بأن أهوي بحذائي المسطح على وجهي.. لكن يدًا أوقفتني

سحبني بهدوء فانتفضت تحت يده كالصوص المبلول..

همست منتحبة:

- خائفة.. خائفة..

سحبني بعيدًا وأجلسني وراء المكتب.. وجلس بجواري..

جلسنا على ارتفاع 20 سم تقريبًا من الماء الملوث.. مددت ساقي واستندت على الجدار.. فقام بتقليدي بأن اتخذ وضعيتي ذاتها.. بكيت..

ولروعتي. وجدته يبكي كذلك..

لم نعلم كم من الوقت مضى على وجودنا.. لقد منعني بدر من قبل أن أعيد شحن هاتفي خوفًا من الالتماس.. وها قد انطفأ الآن.. كان التكييف المركزي قد عاد للعمل.. وبدأت أشعر بالتجمد مرة أخرى..

أخيرًا تفوه بدر بكلمة:

- زينب..

رفعت رأسي ومسحت أنفي وعيني..

- عفوًا؟

- زينب.. هذه جثة زينب..

- أتعرفها؟

- عاملة النظافة..

شهقت..

أخذت أستمع إليه وهو يحكي عنها وعن زوجها وطبيعة عملهما.. أنصت إليه.. إنه يعمل في هذا المكان في أحد الطوابق

العليا في المبنى.. وعرفت أنه من سوء حظه أنه اتخذ من هذه الغرفة النائية ملجأ آمنًا له.. ابتسمت ساخرة.. فعلاً هنا.. منتهى الأمان فعلاً..

رفعت رأسي لأعذب نفسي بمزيد من منظر زينب.. لكنه أمسك بي.. وأشار برأسه دون أن يتكلم.. أن لا أنظر.

كنت أفكر في هواجس غريبة.. ماذا لو صحت هذه الجثة وهجمت علينا.. ماذا لو لم تمت وتمسكت بساق أحدنا وهو ذاهب للحمام..

لقد جعلته يمشي معي خطوات ويقف خارج باب الحمام ليحميني منها..

لقد فكرت أيضًا في ما إذا كانت ستتحول الجثة إلى زومبي يمتص دماءنا أو أن تتلبسنا روحها الشريرة..

لكن هواجس بدر كانت أكثر ذكاء ومنطقية،

تساءل..:

- ماذا لو لبثنا ساعات أو أكثر قبل أن يكتشف أمرنا.. ماذا لو تعفنت الجثة وبدأ ينخر بها الدود ونحن عالقون هنا؟؟

والسؤال الأهم..: ماذا سيكون مصيرنا بعد أن نخرج؟..

سألته بكل سذاجة:

- أتظننا سنخرج؟

- بالطبع.. ليس هذا ما يشغلني..

ما يشغلني بحق.. هو التوابع لهذه الأزمة التي علقنا فيها..

توجه لي بالسؤال:

- أرجوك يا سارة.. هل هناك ما تودين قوله؟

هل لك علاقة بأي شيء يخص هذه الجثة؟..

ارتعبت.

هل لي علاقة؟

لا لا .. من هي زينب أصلاً؟

تجمدت وأنا أجيبه:

- لا لا إن شاء الله لا

- ماذا تعنين بإن شاء الله لا؟

- لا والله لا أعرفها ولا أعرف عنها شيئًا.. هل تصدقني؟

- لمَ أنتِ هنا يا ترى؟

- لا أعرف صدقني لا أعرف..

لكن تيقن بأنني لم آت هنا لأوذيك أبدًا.. هل تصدقني؟

أشاح بوجهه بعد نظرة مطولة نحوي.. ثم زفر:

- المصيبة أنني أصدقك

الفصل الرابع عشر
سارة

كانت وما زالت عقدة حياتي أن (يزعل مني أحد) وهذه الفترة كانت الفترة الذهبية التي تربع فيها هذا الشعور داخلي..

أبي: زعلان مني

زوجي "مع حفظ الألقاب" زعلان مني

ريفان خطيبة بدر: ستنفجر غيظًا مني..

أهل زينب.. غاضبون مني

وأخي جواد..

لقد حكيت لبدر عنه يوم غرفة الأرشيف..

لا أعلم كيف استرحت لهذا البدر حتى أحكي له عن كل شيء.. عن تشتتي وضياعي.. عن علاقتي التي أعدت ربط أواصرها مع أخي جواد غير الشقيق رغمًا عن والدي..

حكيت له أيضًا عن مرضي..

مرض الوسواس القهري..

ابتسمت عندما رأيت نظرته المعروفة تلك:

- أها أنت مصابة بهوس الترتيب؟

ليت المشكلة تقف عند هذا الحد..

جميع من حولي يظنون أن الأمر لا يتعدى غسل الأيدي عدة مرات.. أو إعادة الصلاة.. أو ربما زيادة عدد المرات التي أسجد فيها سجود السهو على الوضع الطبيعي..

لكن تاريخي المشرف مع هذا الاضطراب يثبت أن الموضوع أكبر من هذا بكثير.

واليوم.. آن لبدر أن يرى بأم عينه ماذا يعني مرض الوسواس القهري..

خرجت وكل خلية في جسدي تنتفض.. تستنجد..

حرارة في الجسم.. خوف غير مبرر، الوجود حولي أسود.. مظلم.. مقفل.. توجهت نحوه في الصالة حيث يجلس..

رأيت الذعر في عينه..

- ما بك؟

لو أنني في حال أفضل لضحكت على ملامح البلاهة المرتسمة على وجهه.. لكنني خائفة.. خائفة.. وبقدر ما أكره تشابك الأفكار والشعور والخطوط المتوازية التي تمسك بموضوعات شتى.. بقدر ما كنت أعجز وقتها عن الكف عن التفكير في الخطين بشكل متساو.. وعيي الكامل بملامح بدر.. والأفكار الوسواسية التي تسيطر على شعوري.

فالفكرة تطرق رأسي وتتلاعب بخلايا مخي.. وتتلوى بأشكال.. عديدة.. مبتكرة.. غير اعتيادية.. وتهدأ.. لأظنها قد خمدت.. ثم تظهر لي من مكان آخر في رأسي.. إنها تلعب معي لعبة الاختفاء والظهور.. بخبث.. بقوة.. بحيلة.. وبذكاء شديد..

إن خصمي ليس سهلاً.. أعرفه ويعرفني.. وعشرتي معه تمتد سنين عديدة.

لكنني أستسلم له.. وأصدقه.. أخاف منه وأخشاه..

- أخشى أنني قد قتلت زينب..

قلتها وانا أحاول تمالك أعصابي.. أن أسمع منه الجواب الذي أريد سماعه..

- نعم؟!!!! قتلتِها؟؟؟؟؟؟؟؟

صاح بدر في وجهي.. ووقف من قوة الانفعال..

لا.. ليس هذا ما أريده.. ليست هذه ردة الفعل المطلوبة.. أريد طمأنة أريد تربيتًا.. أريدك أن تخبرني بأنني لم أقتلها.. أحتاجك أن تؤكد لي هذا..

- لا لا لم أقتلها.. لكن.. ربما!

- كيف ربما؟ هل قتلتِها أم لا؟

إنه لا يفهم.. أنا أحس أنني قد أكون قتلتها.. لكنني لم أقتلها.. ولكن.. ربما..

قلت له وأنا أحس أن دائرة الاختناق تضيق أكثر..:

- إنها الوساوس.. أعرفها.. إنها تسلك النمط نفسه.. الطريقة نفسها.. إنها تلح عليّ بأنني قد أكون قتلتها..

- لكنك لم تقتليها يا سارة.. أليس كذلك؟

- أعرف لكنني لا أستطيع التخلص من فكرة أنني قد أكون قتلتها.. اسمع.. مرات كثيرة مررت بهذا الموقف.. لكن.. ماذا لو كنت قتلتها؟ لا أستطيع أن أشرح.. لا تفهمني.. أتظن أنني قتلتها؟

أمسكت وجهي بين يدي..

الخجل.. أشعر بالخجل والذل وأنا أتعرى أمامه في هذه النوبة الملحة.. وأعرف أن الأزمة قد تمكنت مني .. وأنني كنت أتمنى ألا أنكشف أمامه بهذه السرعة..

نظر إليّ بحنو..

نعم أريد هذه النظرة.. هذا التعاطف.. هذه الطمأنة..

- اطمئني.. لم تقتليها.. الإثبات الأول.. أنك أقل منها وزنًا بثلاث مرات على الأقل.. لا يمكن أن تخنقيها وتذبحيها وتعضيها وتقطعي ساقيها وحدك..

ثانيًا.. آثار الأسنان تعود لشخص آخر.. وأظنه زوجها على الأرجح..

ثالثًا.. ليس بينك وبين زينب أي صلة من قريب أو بعيد..

نعم.. هذا هو الجواب الذي أتمنى أن أسمعه.. هو بالضبط.. أن يخبرني بالحقائق التي يجب أن أعيدها على نفسي مرارًا.. لعلي أقتنع..

هذا منطقي.. أعرف.. كل الأدلة تبرئني..

لكن النقر على رأسي لا يهدأ.. والأفكار تتضارب.. من كل ناحية..

.. أشعر بنوبة هلع قادمة..

ضيق في التنفس.. وسواد في الأرجاء..

أمسكت بوجهي وبلعت ريقي..

- لا أستطيع. لقد عادت ثانية.. لقد انتكست..

تذكرت وجهه عندما صارحته بالحقيقة.. ونحن جالسان في قمة الرومانسية وسط الوحل.. حقيقة الوساوس وتاريخي مع الأطباء وتغيير الأدوية.. والتشخيصات..

لكن د. عبد الرحمن والذي استقرت معه حالتي أثبت أن وضعي هو وسواس الأفكار القهري "كما ينص الكتاب". وأن الحالة تهدأ وتستقر بالعلاج.. ولكن قد تنتكس في أي وقت.

أمسك بذراعي.. أحسست برغبة في أن أدفن رأسي بحضنه.. ليس كرجل.. بل كملجأ وأمان.. أمان من خوفي من الفكرة. ورغبة في الهرب من الواقع الذي استهلك أجمل سنوات عمري..

قال بهدوء:

- هل أنت منتظمة على أخذ الدواء؟..

الدواء.. شيء مخجل..

عاد بي الزمن لذلك اليوم.. اليوم المؤرشف في ذاكرتي.. يوم غرفة الأرشيف..

لقد قال لي والجثة ثالثتنا..: إنه لا يوجد ما يدعو للخجل من أخذ الدواء النفسي.

- لكنه مرتبط بالعته والجنون.. قلتها بخجل..

- أنت إنسانة متعلمة.. قالها بثقة ثم تراجع..

وسأل: أليس كذلك؟

- بلى.. أنهيت دبلوم كمبيوتر..

لقد وصلت معه لأعماق مشاعري تلك الليلة وهو لا يعرف عني أبسط التفاصيل.. لا يعرف اسمي الأوسط.. ويعرف أني أقابل أخي من أمي دون علم أبي..

يعرف عن مرضي ولا يعرف إلى أي مرحلة من التعليم وصلت..

والآن... هو زوجي ويسأل عن علاجي النفسي.. ونحن في ثالث أيام العسل..

سأل وهو ينظر إليّ وإلى شعري المنكوش وضفيرتي المشعثة:

- ألا يوجد لديك علاج للطوارئ.. مهدئ مثلاً؟

- لا أريد.. لا أريد أن أصل لتلك المرحلة..

لا.. تلك الليالي.. لا أريدها..

لا بد أن أتغلب على هذا الشعور..

لا أريد أن أعود للالتواء في سريري من فرط القلق.. لا أريد أن أنتكس..

بدأ يقرأ آيات من القرآن ويضع يده على جبهتي.. ثم طلب مني أن أذهب لأستحم..

- هل تنبعث رائحة سيئة مني؟؟

لا.. تراجع بعنف..

- بالعكس رائحتك...

سكت بعد أن أحس بأن ما سيقول قد يكون شائكًا..

طبعًا.. أعرف أن من ضمن مشكلاتي اهتمامي المبالغ فيه بالنظافة.. لكن لم يكن هذا عائقًا أو مؤذيًا.. فكما قلت.. ليت المشكلة تقف عند حد.. النظافة والتثبّت من إقفال الباب.. ومراجعة موقد الغاز.. وإقفال الحنفية..

- لقد قصدت أن الاستحمام والتغيير قد يؤثران على نفسيتك بالإيجاب..

أطعته.. ذهبت للاستحمام.. مع طرقات الأفكار أنفسها على رأسي..

ارتديت المنامة القطنية.. والأفكار تضرب في رأسي.. سرحت شعري ووضعت مستحضرات الشعر والنظافة.. والأفكار تأخذني بلا هوادة..

ثم ظهرت له من جديد...

- أرغب في زيارة جواد

- أخيك؟

- نعم.. أشعر براحة عندما أتحدث إليه.. إنه يفهمني.. إن أبي قد فاض به الكيل مني.. وأخشى ألا تتحمل جنوني أنت أيضًا.. لقد قال لي في آخر مرة زرته قبل أن.. إحم أقصد قبل أن نتزوج.. إنه يرحب بي في أي وقت.. ربما يعود لي صوابي وأتخلص من تلك الأفكار قبل أن تجر أفكارًا أخرى.

- ما الذي يجعلك مقتنعة أنني سوف أتضجر منك؟

"لأن من سبقك قد تركني لهذا السبب مثلاً" فكرت في الجواب واحتفظت به لنفسي.

- إنك لا تعلم.. قد يستغرق الموضوع وقتًا.. لا أعلم إن كانت الانتكاسة كبيرة أم لا.. يجدر بي الحديث أيضًا للطبيب.. ربما يزيد من جرعة دوائي..

لم أكن أرغب في الحديث.. اقترح أن نشاهد فيلمًا. بدل زيارة جواد في هذا الوقت. وأن نطلب بعض الطعام.. لم تكن لي رغبة.. آه... يبدو أن موجة من فقدان الشهية سوف تداهمني.. وأن مزيدًا من الهزال سيصيب جسدي.

ومع كل تلك المشاعر.. شعوري بالذنب تجاهه يصارع للبقاء.. أشعر أنه يعطف عليّ مع كوني أغلظ مصيبة حطت على قلبه..

شاهدت جزءًا من المسلسل المقترح والذي وعدني أنه سوف ينسيني كل ما أخاف..

ربما.. قلت لنفسي.. ربما الدنيا ليست سيئة تمامًا.. ربما هي موجة بسيطة من الذنب بعد رؤية الجثة والبقاء في تلك الغرفة والمطر وكل شيء.. ربما ليست انتكاسة كما أقرأ وأسمع..

أخيرًا.. قررت الذهاب لغرفتي..

الحكاية الأخرى.. أو الخط المتوازي الآخر الذي يعبث في ذهني هو: هل هو موافق على كوني أنام في غرفة منفصلة.. أم أنه يتوقع مني أن ألعب دور الزوجة.. أم يريد طلاقي بعد أن تهدأ الأزمة؟..

شعرت بالخوف من الفكرة الأخيرة..

لكنني قررت أن الوقت ليس ملائمًا لها.. إنها أقل رعبًا من فكرة أنني قتلت العاملة..

دخلت غرفتي وأديت صلاة العشاء وما أن استلقيت في الفراش وأمسكت بهاتفي.. حتى انتفضت ثانية..

وعادت كاافة المشاعر تتقلب داخلي..

درت قليلًا في الغرفة.. وذهبت إلى الحمام أخرج ما في جوفي..

ثم خرجت وتوجهت إلى غرفة نومه:

وبعد ثلاث طرقات خرج لي بشعر أشعث هو الآخر، قلت له وأنا أشعر بالحرج:

- أظنني قتلت زينب.

الفصل الخامس عشر:
المقدم أصيل.

تم القبض على إمام للشك فيه.. تم استجوابه.. صاح بقوة:

- لم أقتلها.. لقد قتلها الوغدان بعد أن اكتشفتْ أمر علاقتهما.. هذا هو التفسير.. وها هما ذان يدعيان البراءة.. ليأتي مسكين مثلي ويتورط في القضية..

قال له الرائد منذر:

- للأسف يا إمام. لقد تطابقت آثار الأسنان مع أسنانك..

حينها كشف عن ذراعه قائلاً:

- هي التي كانت تعضني.. انظروا إلى الآثار.. لقد عضضتها بعد أن تهجمت عليّ.. لم أرغب في ضربها حتى لا يتأذى الطفل.. فعضضت وجهها..

هذا فقط.. لكننا ذهبنا بعد ذلك للعمل.. تستطيعان سؤال موظفة الكافتيريا، صديقتها التي أخبرتكم عنها، لقد حادثتني بشأن تلك العضة..

نظر إليه أصيل.. وفكر..

أي نوع من العلاقات يعيشها إمام وزينب.. هل هي كما يقول،

حياته هو وحياة آبائه.. أي مستنقع من الجهل كاد يعيش فيه الطفل لو كان مقدرًا له أن يأتي؟..

من لطف الله أن ذلك البيت قد هدم.. وأن الطفل قد صار في عداد عصافير الجنة.. وإلا لولد إمام جديد يعنف زينب جديدة..

- إذًا لمَ ترفض أن تعترف أين ذهبت وراء زينب.. لم اختلقت قصة شراء الخضار؟

- لقد كنت..

ارتبك وتلفت..

وقال:

لا أستطيع أن أقول..

- إذًا ستلبسها يا حبيبي.. قال له منذر بكل تسليم.

- لكن يا سيدي.. لو أني قلت لك أين كنت في تلك الساعات.. فسوف يؤذيني..

- من هو؟

صاح منذر:

- تكلم يا إمام هل تريدنا أن نترجاك؟

أصبح الموضوع مثيرًا للاهتمام.. ها هو ذا سيتحدث.. أخيرًا..

- أرجوكم.. احموني. هل تستطيعون حمايتي إن قلت الحقيقة؟

نظرة من المقدم أصيل كانت كفيلة بأن يصمت.. بالطبع سوف يكون محميًّا، لن يفلت مذنب من العقاب.. أيًّا من كان:

قال وهو يحني رأسه للأرض:

- لقد كنت في مشوار لمنزل الأستاذ سعد الثاني.

سأل:

أهو متزوج باثنتين؟..

قال إمام وهو يرتجف:

- لا أحد يعلم سواي.. أرجوك.. لقد هددني إن قلت لأحد فسيقطع رأسي.

سعد!

يبدو أننا سنزور الأستاذ سعد في القريب العاجل..

يبدو أن الاهتمام بدأ يحيط بسعد..

ركب أصيل السيارة هو ومنذر.. فتح أصيل ورقة الملحوظات التي خطها وراجع محتواها ودسها داخل الملف.. قال منذر مطلقًا ضحكة محرجة وهو يتناول الملف:

- سيدي.. بصراحة.. وأتمنى ألا يكون كلامي وقحًا.. أستغرب طريقتك في جمع المعلومات؟

ضحك أصيل وأجاب:

- أتعني أن طريقتي فوضوية؟ ما زلت غرًّا يا منذر.. ستعرف لاحقًا أنه عندما يكون لديك أطفال في المنزل.. سيكون العمل في وسط الهدوء والنظام هو الشيء المستغرب..

اقرأ لو سمحت ما هو مكتوب بشأن سعد..

نظر منذر في طلاسم الورقة ثم وجد النقطة المبتغاة:

- عمره اثنان وخمسون.. معروف بعينه الزائغة.. التحريات تشير إلى أن كثيرًا من الموكلات والموظفات قد لمّحن بمضايقته لهن بشكل من الأشكال.. ثم أردف منذر..: متحرش إذًا..

صحح له أصيل:

- لا ينبغي أن نطلق الأحكام جزافًا.. لم تثبت أي من السيدات اللاتي تم التحري عنهن أنه تمادى لمرحلة التحرش.. لكن.. كما كررت كثير منهن أنهن لم يكن مرتاحات له..

كما أن كثيرًا من مشكلاته مع زوجته تضمنت معنى الخيانة..

مشاهدة مقاطع.. دردشات مع سيدات.. هو من هذا النوع من الرجال..

قاطعه منذر:

- سيدي.. أنا منبهر بالسرعة التي حصلت بها على المعلومات.. كيف حصلت عليها بهذه السرعة؟

- سأخبرك.. سأخبرك كيف تبحث وأين تبحث عن أسرع المصادر.. لكن.. الآن نريد التركيز على سعد..

- لكن لا يوجد في سجله الثبوتي ما يقول إنه متزوج بأكثر من واحدة.. كيف يقول إمام إن له زوجة ثانية؟..

قد يكون زواجًا غير نظامي..

- أتعرف يا منذر؟

أسوأ ما في الجرائم أنها تفضح خبايا مستورة عن أناس كثر.. ربما أراد الله لحقيقتهم أن تظهر بهذه الطريقة.. لقد عرفنا الآن أن هذا الرجل المحترم الأنيق ضعيف أمام النساء..

قال منذر بنظرة المعجب:

يبهرني يا سيدي إلمامك بالقضية وتحرِّيك عن المشتبه بهم بالأمانة نفسها وبالقدر نفسه.. حتى المستبعدون منهم أجد لديك تقريرًا شاملاً عن خلفياتهم وربما دوافعهم

أجاب أصيل:

- التفاصيل.. الإجابات دائمًا في التفاصيل يا منذر.. لا يمكن حل قضية بمجرد النظر للصورة الكبيرة.. ستعرف هذا بالتجربة والخبرة.

فربما ليس لسعد الآن علاقة بما حدث.. لكن حجة إمام قد دفعت بنا للتفكير فيه.. بما أنه يمتلك تلك الخلفية المشرفة فربما أرسل إمام لسبب ما وربما بدون سبب.. على العموم علينا أن نستجوبه في كل الأحوال.

استقبلهما سعد بعدم ترحاب.. أسلوبه الدفاعي لم يعجب أصيل لكنه لم يفقد ثباته:

- ما حدود علاقتك بالمجني عليها زينب؟

- وماذا ستكون علاقتي بها.. عاملة تنظيف؟ أنا تقريبًا لا أعرفها.. حتى إنني بالكاد أتذكر منظرها!

- منذ متى تعمل لديك؟

- ثلاث سنوات..

فكر أصيل: عرف عنها أنها جميلة.. وذات جسد يجذب الرجال.. لا يمكن أن تفلت امرأة بهذه المواصفات على الأقل من نظرات سعد.. كلامه الكثير وإنكاره لمعرفة شكلها يدينانه أكثر مما يبعدان عنه التهمة.

نظر أصيل إلى ورقة التحريات.. وقال:

- لقد أثبتت أكثر من موظفة أنك قد لمحت لها برغبتك بالارتباط.. كما أن كثرة رسائل صباح ومساء الخير لجميع السيدات قد كونت لدى كثير منهن فكرة غير جيدة عنك..

هل تذكر هاجر؟ العاملة السابقة قبل زينب.. لقد كان لي معها دردشة لطيفة.. وللمفاجأة لقد أخبرتني أنك لمست يدها مرة أثناء قيامها بالعمل.

- كاذبات.. لست بهذا الغباء.. أورط نفسي مع نساء من بيئة عملي؟.. كل ما أردته هو أن أكون لطيفًا ورئيس عمل طيبًا.. لقد أصيبت جميع النساء بهوس التحرش.. هاجر كاذبة.. لو كان الادعاء هذا صادرًا من زينب لتقبلت الأمر أما هاجر ووجهها الشبيه بوجه الحصان..... فلا يمكن أن أنظر إليها.

- لقد قلت منذ قليل إنك لا تذكر شكل زينب.. اعذرني أستاذ

سعد.. لكنك لا تبدو لي من نوع الرجال الذين يوفرون النظر إلى النساء..

محادثاتك مع المشهورات.. رسائلك إلى زميلاتك.. ضغطات الإعجاب لصور معينة في حسابات تواصلك.. كلها تشير إلى أنك تنظر بدرجة تفوق الحد المسموح به إلى النساء.

أعيد وأسأل.. هل لك صلة غير طبيعية بالمجني عليها؟

- هل نسيت أيها المقدم أنني محام؟.. أنا أريد توجيه السؤال لك: هل لديكم دليل على تورطي في هذه القضية؟..

وهل يعد هذا تحقيقًا رسميًّا؟

ألم يكفكم تشويه صورة مكتب الاستشارات القانونية؟.. ألم يكفكم تلويث سمعة شريكي في العمل؟.. هل أنتم بصدد إقفال المؤسسة كاملة؟

- لست متهمًا أستاذ سعد.. هذا حوار ودي.. وأتمنى من جماله ألا ينتهي..

أعيد وأسأل..: ما علاقتك بالمجني عليها زينب إسحاق؟

الفصل السادس عشر:

بدر:

نظر بدر إلى شعاع الشمس الهارب من وراء عازل الستارة.. وفكر.: يبدو أن مستقبلي قد انتهى.. لا أستطيع دعوة براء ومودة إلى منزلي نظرًا لوجود سارة.. لا أستطيع حتى أن أفتح مع أحدهما حوارًا دون أن أشرح له أو لها وضعي..

ريفان..

حتى ريفان لم يسلم منها

حيث إنها فاجأته بزيارة أشبعته فيها ضربًا..

ضغط على أذنيه بالوسادة وكأن صوتها لا يزال في أرجاء البيت..

- لقد خدعتني.. أوهمتني أنها مجرد مكيدة، وأن لا شيء بينها وبينك..

ثم أفاجأ بأنها زوجتك بالسر..

- ليس الأمر كما يبدو..

سمع جملته وتذكر (الكليشي) المعروف عندما تضبط الخطيبة حبيبها متلبسًا مع أخرى..

لعن نفسه..

هل أخطأ التصرف؟ كل ما في الأمر أنه حاول استعادة خطيبته وطمأنتها بأنه لم يخنها.. وأن الزواج كان بسبب قاهر..

لكنه لا يستطيع.. لا يستطيع أن يصرح بهذا في وجود سارة.. شيء ما منعه من قول تلك الحقيقة.. لكن على أية حال يبدو أن ريفان لن تستمع إليه أصلاً بعد ما رأت ما يوحي بحياة زوجين في شهل العسل.

- كنت أكذب نفسي.. طوال هذه المدة.. (أنا) بكل ما فيَّ من مميزات وجمال.. وأنت ملهيّ عني.. مشغول بشيء ما..

حتى عندما وصلني خبر أنها تعيش معك... كذبت الإشاعات.. وصدقتك.. إنها مكيدة.. وأنت لا تعرفها..

تذكر حركتها المسرحية وهي تتلفت في أرجاء المنزل وتهتف..:

لا شك أنني قطعت عليكما سهرة تلفاز جميلة.. مكسرات.. وفشار مكرمل.. وزجاجات مياه غازية..

وكنبة مريحة قضيتما عليها المساء..

لقد قطعت خلوتكما..

لم تجدِ معها محاولاته لتهدئتها.

حاول صد ضرباتها دون جدوى.. بالطبع أزعجته إهانتها له لكن ما ساءه أكثر ودفعه إلى طردها.. تنمرها على سارة..

- تركتني من أجل هذه؟!.. طبعًا.. مستوًى منحدر بلا شك..

سيحادثها بعد أن تهدأ وسيحاول إصلاح الأمر..

كان قد قضى مع سارة ليلة أخرى عصيبة يحاول إقناعها بأنها ليست قاتلة.. حاول أن يقرأ في الليلتين السابقتين عن طرق التخفيف من نوبات الهلع.. قضى الساعات يبحث في مرض الوسواس القهري..

تقلب وأمسك بالساعة الذكية ليتفقد الوقت..

انتفض من السرير.. سوف يكمل حمل همومه وهو ذاهب إلى العمل.. لن يفقد وظيفته أيضًا في خضم كل هذه المشكلات.. يكفي أن تأجلت جلسات مهمة له مع أكثر من عميل..

استراح تحت رذاذ الدوش وهو يغسل جسده..

كيف سيترك سارة وحدها؟

تعجب من نفسه.. لم يشتمها كما تعود في الأسبوعين السابقين..

هل بدأ يشفق على حالها؟ لماذا هو خائف من أن ترتكب حماقة؟ أو أن تؤذي نفسها؟

بعد الليلة التي بدأت فيها انتكاستها بالظهور أخذها بدر لأفضل طبيب سمع عنه في المدينة المجاورة.. وقد وصف لها الطبيب مهدئًا جديدًا..

لم يكن بدر يعرف عن هذا الاضطراب شيئًا.. كل ما يعرفه أو يدعي معرفته كان مجرد قشرة لا علاقة لها بالواقع..

كانت تبدو طبيعية.. قال للطبيب بعد أن خرجت سارة للاستراحة.

- هي طبيعية.. ما بها ليس مرضًا عقليًا.. اضطراب الوسواس القهري من أنواع اضطرابات القلق المعروفة.. قد يظهر معه بعض الأعراض الاكتئابية.. لكنها لا تمر بمرحلة اكتئاب..

من خلال مراجعتي لتاريخ مرضها.. يبدو لي أنه تمت السيطرة عليه منذ سنوات.. وتعايشت معه بجرعة وقائية لفترة طويلة..

يبدو أن الصدمة التي تعرضت لها مؤخرًا كانت شديدة.. لذا يجب زيادة جرعة الدواء حتى تستقر.. ثم تعود بعدها بالتدريج حتى تصبح طبيعية..

تذكر نظرة الطبيب وهو ينظر إليه بإعجاب:

- أشكر فيك هذا النبل أستاذ بدر.. كثير من الأزواج لا يبدون ربع اهتمامك خصوصًا في بداية الزواج.. أدعو لكما الله أن تعيشا حياة هنيئة معًا..

حسنًا.. فكر بدر.. الآن إن تركتها أو حتى تخليت عنها فسأبدو مثل الوغد النذل..

هل ينسى أمر ريفان؟ ويقبل بأن تكون سارة نصيبه من الدنيا..

هل سيحتمل سارة بعد كل نوبة تقتنع فيها لتعود بعدها بنصف ساعة وتقول..: ربما قتلت؟

في كل مرة من المرات السابقة يحس أنه يبني قلعة حصينة يطمئن بها قلب سارة المتهاوي.. لتعود بعدها بكل حماقة وتهدم تلك القلعة ويصبح معها في مهب الريح..

ما يتعجب منه أنها تعرف أنها وساوس.. لكنها مع ذلك تضعف أمامها.. إنها لا تتوهم أو تتخيل ما يحدث معها.. استرجع كلمات الطبيب:

- أصعب نقطة في هذا المرض هو أن صاحبه ليس مغيبًا.. مثلاً في مرض الذهان قد يتخيل الشخص شيئًا.. ويصدقه.. وقد يغضب إذا اتهمه أحد بأنه يتخيل..

لكن في حالة سارة.. هي بكامل وعيها.. هي تعرف ما تقول.. ولا تتخيل أبدًا.. بل تحس بالذنب لأنها تفكر بهذا الشكل..

وصل إلى المؤسسة وصعد إلى مكتبه.. لكنه أحس بتتبع نادر موظف الاستقبال:

- أنا آسف سيد بدر.. لا يمكنك الدخول..

نعم؟!!!

أجابه بدر.. هل يمنعني من الدخول إلى مكتبي؟

- الأفضل أن تتفاهم حول الموضوع مع الأستاذ سعد!!!!!

***

وها هو ذا يعود إلى المنزل بعد أن انتهى فعليًا كل شيء..

يريد سعد أن تفض الشراكة وتقريبًا تم طرده حتى تتم التسوية..

- ما ذنبي؟

حاول أن يقنع سعد

- لست السبب في أي مما حصل..

- ليس ذنبي أو ذنبك.. لكن يا بدر.. رحيلك سيخفف جزءًا من وقع الحادثة..

- كيف؟؟ إن كنت أنا المقصود من حدوث تلك الجريمة.. فبتصرفك هذا سوف يتحقق ما يبتغيه المجرم منها.. نحن نساعده بفض الشراكة..

- ليست فقط الجريمة.. الجريمة والفتاة.. وعلاقتك بها..

- أنت محام يا سعد.. أنت أدرى الناس بقضايا كهذه..

- بدر.. لقد حصلت لي مشكلات جمة من بعد تلك الحادثة.. موكلون.. عملاء في مركز التدريب.. حتى حياتي الخاصة تعرضت للانتهاك والخراب من بعد تلك القضية.. لا أعلم.. الأفضل أن ننفصل.

"يا للجبان.. إنه يتنصل من أي صلة بي.. وكأنني أنا من أملك تلك السمعة غير المشرفة..

ماذا لو كان سعد هو المقصود بتلك الحادثة؟ لماذا يجزم بأن القضية تخصني وحدي وأنني السبب فيها.. أشعر بأنني كبش فداء لعملية ما.."

حدث نفسه وهو عائد إلى المنزل.. يظن سعد أنه سيمحو أثر الفضيحة بعد أن تخلص منه.. وأن مكتبه سيزدهر بدونه. لكن لا بأس..

ابتسم ساخرًا وهو ينظر إلى باب شقته.. لقد انتهى كل شيء فعليًا..

لم يعد له قضية في الدنيا سوى سارة. والجريمة.

سيحاول أن ينجح في هذين المشروعين اللذين أمامه..

مرض سارة..

ومعرفة من وراء توريطه في مقتل زينب.

الفصل السابع عشر
سارة..

مر أسبوعان عصيبان جدًّا.. رأيت خلالهما كل ما هو هائل في حياتي.. تجربة دواء جديد.. زواجًا.. فضيحة.. وخطيبة حاقدة قد دمرت حياتها.. وزوجًا كنت وجه النحس عليه..

كاد السرير يحفر من كثر فركي عليه في تلك الليالي..

لقد طلب الطبيب من بدر أن يراقبني..

لكنني أعرف حدودي..

صحيح أنني أتمنى الموت.. فهو سيريح كثيرًا ممن حولي.. لكن.. أعرف أن هذا ابتلاء.. وسأشفى منه..

لن يصدق أحد أنني مصابة بهذا الاضطراب..

فأنا ذكية مرحة.. محبة للحياة.. ذات رغبة في التطور والطموح.. لقد كنت مسيطرة على كل شيء..

حتى ظهرت أعراض ذلك الاضطراب بوضوح قبل 5 سنوات.. عندما.. انتابتني وساوس في الدين..

نعم..

كانت صدمة أثرت فيَّ تأثيرًا كبيرًا.. قضيت الليالي أقرأ في الأحكام.. ما يخرج عن الدين وما لا يخرج.. فأثرت حالتي في علاقتي بطليقي..

نعم كنت زوجة سعيدة حتى هاجمني هذا القلق..

لقد انتقلت وساوسي إلى وساوس تخص زوجي.. وبدأت أشك في صحة دينه هو الآخر.. حتى اقتنعت بأنه لا يجوز لي العيش معه.. كيف لا وهو ليس على ديني؟

كنت أعرف أنها وساوس.. لكنها أثرت على سير حياتي..

حتى فاض به الكيل ورد بضاعة أبي إليه، لقد قال لي بالحرف:

- لتقضي بقية عمرك تبحثين في ما إن كنت أحل لك أو لا.

وها أنا ذي أعود لنقطة الصفر.

لست مادة صالحة للزواج..

لم يكن هذا وقتي أو مكاني..

لقد ضحكت على نفسي بعد أن استقرت حالتي.. وبدأت أمارس حياتي.. ظننت أنني امرأة طبيعية.. لكنني لست سوى مجنونة.. لم يكتشف أمرها بعد..

وقد أكون أيضًا مجرمة؟ فمن يدري.

لقد أكد لي بدر أن لا صلة لي أبدًا بالجريمة.. فجميع الأدلة بعيدة عني..

لكنه أيضًا قد أخبرني أن زوج العاملة مشتبه به.. وثبتت براءته..

وأخبرني أن رئيس مجلس الإدارة مشتبه به لكنه أيضًا تمت تبرئته..

من يكون القاتل يا ترى؟

لقد تطور الأمر معي.. وبدأت أتخيل.. رأيت رسالة على مجموعتي الخاصة التي أنشأتها لحفظ ملاحظاتي.. ورأيت ملاحظة مفادها.. أنني قطعت ساقي زينب.. رأيتها.. وجريت على بدر..

في البداية خفت.. خفت أن يكون هذا تطورًا سلبيًّا في حالتي.. لقد بدأت أرى أشياء.. لم يعد بإمكاني التمييز بين الواقع والوسواس.. لكنني أراها فعلاً..

جريت ليلتها وأخبرت بدرًا.. لكنني وعندما تفقدت الرسائل مرة أخرى.. لم أجدها..

- ربما مسحتها..

- لكن لو كنتِ مسحت الرسالة للتو لورد تنبيه أن هناك رسالة قد محيت؟ أليس كذلك؟

- إذًا لم تكن هناك رسالة؟

- لا أعرف.. لست خبيرًا في الأجهزة.. ولا في التطبيقات ورسائلها.. لكن.. ما أردت أن أقوله يا سارة.. أن أعصابك متعبة.. وأن القضية لها تأثير كبير على تركيزك.. أنت لست مذنبة تحت أي ظرف من الظروف.. ولا أظن أنك رأيت رسالة أو ملحوظة..

لقد كنتِ معي في الغرفة.. وكنت أنا شاهدًا معك.. شاهدًا بأن لا يد لك في الموضوع..

- أتظنني أتخيل؟؟ هل وصلت حالتي لما هو أبعد من الوسواس..
هل وصلت للخيالات..

أنني أتخيل؟..

لكنني رأيت الرسالة.. أو الملحوظة.. لا أدري..

أمسك بي بدر وقت رأيت نظرة جديدة على وجهه..:

- سازة.. إنني لا أراها.. أين ذهبت؟

كيف له هذه القدرة على احتمالي؟ كيف لم يفض به الكيل؟

لم يتحملني طليقي سوى أسبوعين.. لم يتحملني أبي إلا لأنه مرغم

هل يحبني؟

لم أشعر يومًا بحب أحد.. عشت مع والدي بعد طلاق أمي التي لم تكن لي ذكريات معها.. ما أعرفه أنها تزوجت بعد أبي وأنجبت أخي جواد ثم تم طلاقها مرة أخرى..

هل العيب فيها يا ترى.. أم في الرجلين اللذين اختارتهما؟

سمعنا بعدها بفترة ليست بالقصيرة أنها ماتت وأنها انتحرت لكننا لم نعرف إن كان حقيقة أم مجرد إشاعة.

عشت مع العمة عفاف زوجة أبي وأبنائه.. الذين لا يمكن أن أتهم أيًا منهم بالإساءة إلي.. لكنني لم أشعر يومًا بالحب من جانبهم..

قضيت سنوات طفولتي أضرب من قبل والدي بسبب ذلك الوسواس الذي لم نعرف حينها أنه وسواس.. ومع أنني أعرف

معرفة تامة حبه لي وخوفه علي، إلا أنه لم يعرف التعامل مع اضطرابي.. كان يقف وراء باب الحمام نظرًا لقضائي وقتًا طويلاً أغتسل فيه.. يطرق الباب حتى لا أطيل البقاء.. حتى لا أعيد تنظيف نفسي مئات المرات.. لقد ظن أن الجن تلبسوني من كثرة البقاء هناك.. لم يصدق أنني كنت أسيرة الوساوس التي تخبرني دائمًا أن وضوئي ليس صحيحًا وأن اغتسالي فيه خطأ..

أخذني يومًا إلى شيخ قرأ علي آيات التحصين.. وكان يقرأ علي آيات السكينة كل ليلة.. لقد كان يحبني..

كنت أرى الفرحة في عينيه عندما يخمد الوسواس لفترة.. وأفرح معه.. لأنني كنت أظن أنني قد شفيت..

لم يقترح يومًا زيارة الطبيب..

ففي الماضي لم يكن الطبيب النفسي خيارًا مطروحًا..

وهذا ما قادني إلى الطلاق..

لقد أحبني أبي بطريقته.. بقسوة.. بطريقة عملية..

لم يطرح خيار الطبيب إلا بعد مسألة الطلاق.. وبرغبة مني شخصيًا..

لكنني أرى نظرة أخرى حانية من قبل بدر.. وكأنه يحاول أن يشعر بما أشعر به.. هل يحبني؟ أو هل سيحبني؟

- يجب أن تنتهي القضية.. يجب أن يقبض على المجرم.. ربما في هذه الحالة تهدأ أفكاري..

قلتها ثم نظرت إليه..

- أو أذهب وأسلم نفسي..

إنني أراها.. أحيانًا.. أعني نظرة اليأس في وجه بدر..

اليوم قضيته في غرفتي.. استلقيت على السرير وحادثت نفسي.. يجب أن أعود لعملي.. يجب أن أقاوم حتى أستطيع أن أحرر بدر من هذا الجنون .....

لكنني سمعت طرقات على الباب..

لأول مرة منذ تزوجنا يدعوني بدر إلى العشاء.. لأول مرة سأخرج معه إلى مكان لا يخص الجريمة أو المرض..

- أرى أن وضعك تحسن كثيرًا بعد الأيام الصعبة السابقة.. وبهذه المناسبة.. أدعوكِ إلى أفضل مطعم ستيك في المدينة.. ارتدي أجمل ما لديك من ملابس.. لأنك ستنسين كل ما في بالك من أوهام!!!

لكنه.. لم يكن يعرف أن تلك الليلة هي ما جعلت الأوهام حقيقة.

الفصل الثامن عشر:
المقدم أصيل

- هي إشارة جيدة بالمناسبة..

قالها المقدم أصيل لمنذر وهما حول طاولة الاجتماع..

- كلما ضاقت حلقة المشتبه بهم كان الوصول للجاني أسرع.. المصيبة أن الوقت الذي حدثت فيه الجريمة كان الإقبال فيه على المبنى كبيرًا.. فقد أتى مئات من المتقدمين للوظائف في العيادة التي افتتحت مؤخرًا.. وحتى في مؤسسة سعد.. باب التوظيف دائمًا مفتوح..

- لكن سيدي من له دافع لقتل الفتاة إن لم يكن زوجها أو مديرها؟.. غرض السرقة منتفٍ.. حتى لم يكن للضحية أي أموال أو مديونية لأحد.. امرأة تعيش يومها فقط.. بالنسبة للقتل بغرض الاعتداء الجسدي فهو مستبعد.. أعتقد أن أكثر المجرمين دناءة لم يكن سيتعرض لامرأة حامل..

- نعم.. أرجح أن القاتل ليس له علاقة مباشرة بها.. ربما قتلها مصادفة لسبب غير متصل بها شخصيًا..

- أتقصد أنها جريمة كراهية.. هو يكره هذه الجنسية مثلاً؟

- أو ربما يكره النساء..

فكر المقدم أصيل.. في مثل هذه القضايا التي يتورط فيها شخص مختل.. يكون القاتل متسلسلاً.. ولا يكتفي بضحية واحدة..

- يمكننا التحري عن أي سيدة مفقودة في عمر الضحية.. أو من جنسيتها.. أو حتى تمارس عملها نفسه..

يجب أن يكون هناك رابط بين أي جريمة أخرى ومقتل زينب..

توجه بالحديث وهو يشخبط في دفتر ملاحظاته المعتاد:

- في هذه الحالة يجب أن نفكر في الدافع الآخر..

- أي دافع؟ سأل الرائد منذر..

- السبب الذي دفع بالقاتل إلى إلقاء الجثة في غرفة الأرشيف.. القاتل لا يتمتع بقدر كاف من الذكاء بالمناسبة..

- وغير محترف أيضًا..

بالضبط.. بدأ المقدم أصيل يعجب بتوافق التفكير بينه وبين منذر

نعم..

يبدو أن القاتل قد أراد توريط شخص معروف عنه قضاء الوقت في هذه الغرفة بالتحديد..

- هل أشار أحد إلى وجود علاقة بين بدر وسارة من قبل؟

- لا أظن.. جميع موظفي البناية أكدوا أنهم لم يروا سارة من قبل..

- إذًا.. قد يكون المقصود بتلفيق التهمة هو بدر.. ومن سذاجة القاتل أنه لم يعرف أن باستطاعة الطب الجنائي أن يحدد توقيت الوفاة.. وأن حجة الغياب ستبرئ بدر.. لنبحث عن أعداء بدر إذًا..

- نعم سيدي لقد كان هذا كلام السيد بدر في التحقيق.. أنها مكيدة للإطاحة به..

حدق أصيل ونبه منذر..:

- يجب أن تنتبه يا منذر.. ما تم تفسيره من قبل بدر على أنه مكيدة كان يخص نقطة اختلاء سارة وبدر.. لم يكن يخص الجزء المتعلق بالجريمة..

آه صحيح..

إذًا لنحدد الآن أعداء بدر.. وبعدها سيتضح لنا إن كان يعرف سارة من قبل.. أو لا..

الفصل التاسع عشر

بدر:

تعمد أن يمارس مع سارة كل ما كانت تحبه ريفان.. خبرته في زواجه الأول لم تكن كافية.. كان أنانيًا.. كما يقال.. أو ربما صغيرًا في العمر.. ومع ريفان.. أصبح يتبع الخطوات الرومانسية الصحيحة لكسب قلب الأنثى كما يقال أيضًا..

المستغرب أنه يجد نفسه يرغب في التقرب إلى سارة.

كل ما فيها منفر.. لكنه يجد نفسه أكثر انجذابًا لها كل يوم...

فكرة أنها زوجته تبعث فيه قشعريرة غريبة..

"كانت لديّ ريفان.. وهي جميلة.. أنيقة.. مثقفة ومن عائلة كبيرة.. وتحبني.. تشبهني وتشبه ظروف من حولي"

لكنني أجد نفسي أميل لفتاة لم يجمعني بها إلا ظروف عجيبة..

لا أعرف لماذا أشعر بأن حاجتها لي تعكس في الحقيقة حاجتي أنا إليها.. لماذا أشعر بأنني أفكر فيها كشخص أعرفه منذ زمن؟

أريدها أن تشفى.. وأريد أن أعيش معها حياة مستقرة..

لا أصدق أنني أفكر بهذه الطريقة..."

تأملها وهي تنظر إليه برجاء.. ترى ماذا ترجو منه بالضبط.. إلى ماذا تصبو؟

تذكر الساعات القليلة التي قضياها قبل أن تسقط جثة زينب وتشاركهما اللحظة..

لقد كانت متزنة.. تطلق طُرفًا مستهزئة.. ذكية.. جميلة..

صحيح أن بعض ردودها كانت حادة.. لكنها رقيقة.. ثابتة.. هادئة..

تناثرت بينهما بعض الحوارات العشوائية.. ثم بدأ الحديث يصبح أكثر تسلية..

تبدو له الليلة هادئة أكثر.. ثابتة.. قريبة إلى حد كبير من تلك الفتاة في ليلة غرفة الأرشيف.. تحدثتْ قليلاً عن هواياتها في الرسم.. والتصميم.. لديها موهبة رائعة في الرسم الرقمي والورقي.. كل رسماتها مستوحاة من الأجواء الريفية..

- متأثرة كثيرًا بمسلسل (آن في المرتفعات الخضراء).. ليتني أعيش في ذلك الزمن..

- كانت الحياة أكثر صعوبة مما تظنين..

ابتسمت أخيرًا.. حسنًا.. فكر بدر.. يستطيع أن يلهيها عن التفكير السلبي بتركيز فكرها على ما يستهويها.

تحدث معها عن المسلسلات الريفية.. أخبرها أنه يستطيع الاشتراك في منصات جديدة تعرض أشهر هذه المسلسلات..

فوجئ بأنها قارئة جيدة للأدب..

رسامة.. قارئة.. متذوقة للتاريخ..

سمراء بخدين ورديين وعينين واسعتين.. وضفيرة طويلة.. هادئة.. أهم نقطة أنها هادئة عند الحديث.. لا تقاطع.. لا تجادل.. تعترض على آرائه بلطف..

أنكر على نفسه هذا التفكير.. إنه ليس في عمر مناسب لهذا التفكير أبدًا..

أخبرته عن زيارتها لأخيها جواد:

- وضعه ليس بأفضل مني.. لم يكوِّن أبوه أسرة بعد طلاقه من أمي بل أصبح يتنقل بين الزيجات غير الرسمية.. يبلغ أخي الآن الحادية والعشرين من العمر دون وظيفة.. كما أنه لم يحصل على تعليم جيد. مهمل ومشتت.. كان الله في عونه..

لاحظ أنها طأطأت رأسها.. ربما تكون محرجة من المستوى الاجتماعي لمن حولها.. لأنها قالت:

- يأمل جواد في أن يكمل دراسته الثانوية قريبًا.. وأن يلتحق بالجامعة.. هو ذكي جدًّا..

- هل لي أن أسألك. لماذا تزورينه دون علم أبيك؟

أرخت جفنيها.. لعله يضغط على أعصابها بأسئلته..

لكنها ورغمًا عن دموعها المتجمعة في عينيها أجابته:

- إنه من طرف أمي.. صحيح أننا لم نتربَّ معًا.. لكنني أحس

بالرابطة الكبيرة بيننا.. لقد توفي والده قبل سنتين.. وهو السبب الذي كان أبي يحذرني منه.. كان لا يرغب برابطة تجمعني بطليق أمي المدمن السيئ السمعة..

لكن عندما تواصل معي جواد من خلال منصة إكس أخبرت أبي بأني سعيدة بمبادرته فوافق على لقائه على مضض... لكن بعد لقائي الثاني به.. صارحني أبي بأنه لا يرغب في أن تكون لي صلة به..

ومع هذا أحسست أنه من صلة الرحم والأخوة أن أتواصل معه..

أتسمع بكلمة مقرود؟.. إنه أكثر إنسان مقرود في الدنيا..

إنني أحس به أكثر من أي شخص آخر.. هو يفهم مشاعري عندما نتشارك فكرة أن والدتنا قد تركتنا.. عندما نقول نحن يتيمان مع أننا كنا نظن وقتها أن والدتنا ترزق حية.. لأننا نتحدث عن المرأة نفسها..

حدثته عن أختها نورة.. وعن عفاف.. وعن علاقتها بعماتها.. وعن ابن خالة أبيها الذي كان يرغب بها زوجة له.. لكن أباها رفض هذه الزيجة..

لم يعرف ما يقول لها.. لم يجرب أيًا من أحاسيسها.. ومشكلاتها تبدو مختلفة عما تعوَّد عليه.. فهو ينحدر من عائلة سعيدة.. والدته سيدة راقية ووالده تاجر معروف.. وقد درس في أحسن مدارس المنطقة.. وتدرج في مراحل التعليم في أشهر البلدان..

كانت زيجته الأولى سعيدة.. باستثناء أن تم خلعه.. وابنه وابنته ينتظرهما مستقبل واعد..

حسنًا يجدر به الاعتراف أن التعاسة كانت على موعد معه بمجرد دخول سارة حياته.. لكن هذا لا يهم..

فهو لم يشعر نحو شخص بهذا الاهتمام من قبل.. وإن كان كل ما حدث هو ضريبة لقائه بها.. فهو يقبل به بلا شك.

تناولا الطعام وسط ضحكات من قبلها وابتسامات بلهاء من قبله.. إنها تضحك من طُرَفه.. إنها تفهمها..

حتى إنها تقوم بإلقاء بعضها..

ما زال بعض الشرود يقتحم نظراتها.. لكنها تبدو طبيعية إلى حد كبير.. ربما استطاع الخروج معها من هذا المأزق النفسي.. وربما كان هذا بداية لشيء جميل بينهما.

طلب طبق الحلوى الشهير في ذلك المطعم بينما كانت تتجمل في دورة المياه..

وعندما خرجت من ذلك الباب بدت شخصًا آخر.. أمسكت به تهمس في رعب:

- بدر.. أنجدني!..

لقد رأيت مذكرة مكتوبة في هاتفي..

إنها هنا في قائمة أعمالي اليومية..

ساقا زينب.. مدفونتان..

في الباحة الخارجية لمبنى المؤسسة..

الفصل العشرون:
سارة..

بدأت أشعر بالهدوء النفسي تجاه الموقف كله.. ربما جرى الموقف كله لمصلحتي..

تحدثت مع منار التي بدت متعجبة من التسلسل الدرامي لأحداث حياتي..

المكالمة الأولى التي أبلغتها فيها بخبر زواجي كانت مريبة.. فقد أنهتها بسرعة غريبة.. منار الكثيرة الأسئلة، التي لا يكفيها جواب مقتضب.. تقول جملتين تقريبًا:

- ظننتك ستخبرينني بحصولك على وظيفة جديدة.. يا الله.. حظًا موفقًا.. مع السلامة.

لم أعر الموضوع أهمية.. لكن وبعد اتصالها الثاني اتضح لي أنني لم أكن أتوهم:

- آسفة لأنني أنهيت المكالمة بسرعة في المرة السابقة.. فقد كنت مشغولة..

مشغولة؟ كانت هي من هاتفتني..

هل تغار مني؟؟ هل تحسدني كوني ومع كل ما لحق بي من مصائب خرجت من الموضوع بزواجي من أشهر عازب في المنطقة؟؟

لقد أثبتُّ التهمة على نفسك يا صديقتي.. لو لم تعتذري لظللت أكذب نفسي.. على أية حال لم أعد أتأثر أو أستغرب كثيرًا من أمور البشر.. كلما عشت أكثر رأيت أكثر..

لم يبق لي سوى أخي جواد.. وأبي.. وبدر..

بدر.. إنه نوع من البشر لم أعرفه من قبل.. بعيد جدًّا عن عالمي..

عالمه نظيف راق.. مختلف.. تعامله جذاب.. وثقافته عالية.. وثباته مثير للإعجاب.. سقط جسر كل تلك القسوة التي كان يعاملني بها.. وظهر من خلفها قلب حنون..

لم أتوقف عن سؤال نفسي كل يوم..: هل ما يفعله معي بدافع الشفقة؟

ألن ينفد صبره يومًا كما نفد صبر من قبله؟

لقد احتوى مرضي بطريقة مختلفة.. لقد أشعرني أنني لست مريضة..

لقد أشعرني بشيء مختلف..

أحس معه أن هذا الاضطراب ليس خطئي..

لقد أحبني زوجي السابق محمد بلا شك.. وعشنا معًا أيامًا جميلة.. لم تكن هناك مشكلة بيننا.. لكنه لم يحتمل.. فزع من فكرة الارتباط بمريضة.. وهرب..

أما بدر فمختلف..

لكنني كنت السبب في فسخ خطبته.. إنه يحب خطيبته ولا شك.. فقد أخبرني في غرفة الأرشيف أنه فخور بها.. وقد أرسل لها باقة من الورد في ذلك اليوم نفسه..

لم أتلق باقة من الورد من رجل من قبل.. وقد تمنيت بيني وبين نفسي عندما حكى لي أن أكون يومًا معنية بباقة..

وفعلاً.. أهداني باقة اليوم في دعوة العشاء..

أمعقول أنني أتخيل مشاعره.. هل تطورت ليطال الوهم مناطق أخرى من وجداني؟

أحس بشعور غريب وأنا في هذا المطعم الفاخر.. الجو لطيف.. والنادل نظيف.. وجميع العاملين هنا يعاملونني باحترام ولطف.. أشعر بأنني جميلة.. قضيت من عمري ثمانية وعشرين عامًا حاول خلالها جميع من حولي إقناعي بأنني جميلة دون جدوى.. لكنني اليوم أشعر بهذا.. أشعر به جدًّا.

ربما ستحلو الدنيا.. وأعود فتاة طبيعية.. ربما لديّ الفرصة لأكون زوجة حقيقية.. أعوض بها نفسي عن الحرمان.. والذل وتعب الأدوية.. سأعود لجرعتي الوقائية.. وسأجد عملاً آخر.. وسأخرج من المستنقع الذي كنت فيه.. الحياة جميلة..

وضعت المزيد من أحمر الخدود.. ورششت من عطري المفضل وأصلحت من هندامي..

أشعر أنني سأنام الليلة بعمق.. كما أن شهيتي بدأت تتحسن؟

فتحت هاتفي وبطريقة ما جاءت عيني على الملحوظات..

فتحت الملف الأخير..

اتسعت عيناي..

ما هذه العبارة؟

أخرجي ساقيْ زينب من الساحة الخارجية...

الفصل الحادي والعشرون

بدر:

لا يذكر كم بقي هو وسارة في السيارة ينظران إلى (لا شيء).. فقد خرجا من المطعم قبل أن يتناولا طبق الحلوى..

- أكاد أجن.. قالت سارة..

- لقد قرأتها.. والله إني قرأت الملحوظة..

أخيرًا صاحت وانتحبت..:

- لا أريد أن أكون مريضة.. لا أريد أن أكون متوهمة.. لقد وصلت لتلك المرحلة.. سيحبسونني في مصحة..

لم يعرف بدر ما يقول.. فهي أمامه في وضعين أحلاهما مر..

إن كانت متوهمة.. فتلك مصيبة..

وإن كانت غير متوهمة فالمصيبة أعظم.

لو كانت تتوهم.. ولا أساس من الصحة لما رأته فهي مريضة حقًا..

وإن كانت لا تتوهم ومحتوى الرسالة صحيح فهي.. على الأرجح ..... مجرمة؟

استجمع قواه.. دعا الله ألا يتلفظ بحماقة:

- اسمعي.. سارة.. لا أجد ما يدل على أي ملحوظة في هاتفك تدل على الجريمة من قريب أو بعيد..

هل.. هل من الممكن أن..

- أكون متوهمة؟!..

- لا لا..

قالها بقوة.. هو يريد أن يكسب ثقتها.. لا يريد أن يعاملها كالبقية.. كمجنونة..

فكر للحظات.. ربما إن فكر بطريقة مختلفة معها يحصل على نتيجة مختلفة.. ألم نتعلم أن ما نحصل عليه هو ناتج المعطيات التي نقدمها؟

- كنت أقصد أنك.. إن كنت لا تتوهمين.. بمعنى إن كنت رأيت الرسالة وقمت بمحوها تحت ظرف ما...

فهل تذكرين محتواها.. أعني المكان الذي دفنت فيه.. إحم.. أقصد المكان المدفونة فيه الساقان؟

ارتعب عندما استوعب أنه يتحدث عن عضو بشري مدفون في مكان ما.. ارتاع أكثر عندما وجد نفسه يقود السيارة باتجاه الموقع بعد ما أبلغته بالمعلومة

هل هو ذاهب ليثبت لها أنها متوهمة؟

هل هو ذاهب ليتحقق من أنها غير مذنبة؟

لماذا يشعر بداخله أن هناك شيئًا من الصحة في كلامها؟ لماذا يشعر أنه يريد أن يحميها قبل أن يُكتشف أمرها؟

لماذا يشعر أنه يريد التحقق من شيء ما.. لا يريدها جرمة بالطبع.. لكنه.. لا يريدها أيضًا أن تكون مريضة.. ماذا إن كانت قد جمعت بين الاثنين.. المرض والإجرام!!!!

وصلا إلى المبنى الكبير.. أوقف السيارة ونظرا بعضهما إلى بعض..

قال بدر..:

- لا أعلم إن كانت هناك كاميرات في الباحة.. فهي تبعد عن المبنى.. وليست تابعة له.. لكن.. يجب أن نحذر..

ما شاء الله!.. فقد بدأ يسلك الطريق الصحيح نحو الإجرام وأصبح يعرف تمامًا كيف يفكر وكيف يتحاشى الإمساك به.. سخر من نفسه!

- لقد قرأت.. أو.. لقد كتب أنهما ـ أعني الساقين - مدفونتان في حقيبة بالقرب من حاوية القمامة وراء العمود.. وأنني يجب أن أخرجهما..

توجها إلى العمود يقودهما مصباح الهاتف..

توقف قليلاً ثم أخذ سارة إلى السيارة.. وأمرها أن تبقى هناك.

توجه إلى صندوق سيارته وأحضر عصًا يستخدمها مع الصنارة في الصيد.. هه صيد.. أيام وراحت.. عندما كنت مواطنًا صالحًا تقضي وقت فراغك في الصيد..

ذهب وهو يرتعش نحو الموقع وبدأ بحك منطقة تبدو مسطحة..

حينها أحس بشيء قاس يضرب في العصا..

شيء قاس..

لا يريد أن يلمس شيئًا لكن صوت القرع شجعه على الاستمرار..

سمع صوتها من ورائه..:

- وجدتها.. يا ويلي وجدت الحقيبة!.. الحقيبة..

حمقاء.. ألا تسكت هذه؟

- شششششششش اصمتي أرجوك.. يا سارة.

أحس بقطرات العرق تتكون على جبهته.. كما أن وجبة العشاء قد بدأت تتفاعل مع الأدرنالين الذي اقترح أن تصعد إلى أعلى معدته.. لا يشعر أنه بخير أبدًا..

تابع المهمة مستعينًا بمصباحي هواتفهما.. حتى ظهر لهما سطح حقيبة قماشية زرقاء..

بدأت سارة بالنحيب..

- أظن أنني قتلتها.. يا ويلي!.. يبدو أن أفكاري تترجم إلى رسائل هاتفية..

بدر.. هل أنا مجرمة؟؟ لا تتخل عني.. أرجوك لا تتركني.. والله لا أذكر.. لا أذكر شيئًا..

نظر إليها بخوف..

لا يعرف كيف يتصرف..

رجل في عمره.. يشعر أنه صبي لا يتعدى الرابعة عشرة.. هو شخصيًا يحتاج أحدًا.. يحتاج لأن يقول لأحد: "لا تتركني"

أي مصيبة حلت على رأسه.. وأي مصيبة ستلحق به.. وبابنيه.. وبسمعته؟..

التفت إليها مذعورًا.. يا إلهي.. هذه أطراف بشرية تعود إلى جثة كانت ملقاة يومًا ما وسط بركة ماء.. لامرأة حامل مقتولة..

مصيبة.. مصيبة..

وسارة؟؟

هل هي القاتلة؟؟

هل هي مجرمة؟

لا يصدق..

ليست مجرمة.. مستحيل..

أمسك بكتفيها بقوة.. حاول أن يكتم خوفه.. حاول أن يتماسك.. وأن يمنع دموع الهلع من أن تتفجر من عينيه، قال محاولاً طمأنة نفسه قبلها:

- سارة.. اسمعي.. أنا معك.. صدقيني لن أتركك.. يجب أن يكون هناك تفسير.. وإلى أن نصل إلى هذا التفسير يجب أن نتماسك لكن.. قبل كل شيء يجب أن نبلغ الشرطة بما وجدنا..

الفصل الثاني والعشرون..
أصيل: .

انتصف النهار وانتهى أصيل من اجتماعاته.. قرر الخروج مبكرًا للحاق بالتزامه المهم..

رأى منذر يدخل فدعا الله ألا يتطلب وجوده عملاً إضافيًا:

- نسيت يا سيدي لقد اتصلت السيدة سارة التي كانت في غرفة الأرشيف..

- لماذا لم تخبرني؟

- سيدي.. أخبرني زوجها أنها تمر بصدمة بعد الحادثة وهي ليست على ما يرام.. لا أعتقد أننا نستطيع أن نأخذ كلامها على محمل الجد..

- زوجها؟.. رفع أصيل حاجبيه..

ألم تكن مطلقة أثناء التحقيقات؟

- بلى.. ولكن.. هه.. يبدو أن أحدهم قد تورط في زيجة من أجل الشرف..

هكذا إذًا.. تزوج بدر من سارة..

فكر المقدم أصيل قليلاً ثم قال:

- أرجوك يا منذر لا تهمل أي نقطة تخص القضية.. حتى لو كانت من وجهة نظرك مضيعة للوقت.. ماذا كانت تريد؟

- أمرك سيدي.. لقد قالت إنها تراودها بعض الأحلام أو الهلوسات عن الحادثة.. وأخبرني الأستاذ بدر أنها تتناول بعض المهدئات بوصفة الطبيب للتخلص مما يبدو أنها آثار ما بعد الصدمة أو ما شابه...

- ثم ماذا؟

- لا شيء هذا فقط ما أردت إخبارك به...

- حسنًا يا منذر يجب أن أذهب الآن.. لكن.. كما قلت لك.. حتى المشتبهون الذين خرجوا من دائرة الشك يجب أن يبقوا تحت الملاحظة.. فنحن لا نعرف كيف سيقود أي من المستجدات إلى التأثير في مجرى التحقيق..

- حسنًا سيدي..

لملم أصيل أوراقه وتوجه إلى المنزل.. فاليوم.. يجب عليه أن لا يتأخر في العمل بأي شكل من الأشكال.. فحفل تخرج وداد من الروضة هو اليوم.. وكما قالت له هدى:

- لن تضيع هذه المناسبة من قائمة ذكرياتك.. فهي مناسبة لن تتكرر ولا ينبغي عليك تفويتها..

تلك (المفعوصة) الجميلة..

تأملها على المسرح.. وهو يبتسم لكلمات هدى عندما رأته يقبل ويأخذ مقعده بجانبها:

- كنت أشك في أنك ستحضر.. لكن خاب ظني والحمد لله..

هل وداد حقًّا بهذا الجمال واللذاذة؟.. أم أنه مجرد أب لا يرى إلا جمال ابنته.. أكلّ الآباء يرون بناتهم كما يرى هو ابنتيه؟

تساءل.. كيف استطاع أن ينجب شيئًا بهذا الجمال؟.. إنه لفخور بنفسه.. يكفيه فخرًا إنجابه لابنتيه الجميلتين..

استسخف أفكاره.. فكل ما يتمتع به من رزانة وتفكير عقلاني يذهب هباء عندما يفكر في عائلته.. من يرى عينيه تدمعان الآن لا يصدق أنه يرى أبشع الجرائم ويحقق في مصائب لا تخطر على البال..

هل من الصعب إلى هذا الحد أن يكون العالم مليئًا بالسلام.. مليئًا بحفلات الروضة؟ مليئًا بودادات جميلات؟

لماذا يوجد القتل والنهب والأشرار؟ لماذا ليس الناس جميعًا كوداد.. أقصى همومها الرقص على أنغام أنثى السنجاب؟

أمسك بأصابع هدى المزينة بطلاء وردي لامع وتأمل جمال تحفته المتألقة على مسرح الروضة.. كرر في أذنها:

- إنها أجملهن..

لتهمس له هدى بتأكيد:

- وهل عندك شك؟

تمنى أن تطول تلك اللحظة قبل أن ينير هاتفه باتصال منذر..

لقد أوصاه ألا يتصل.. ما يعني أنه اتصال مهم.. للغاية..

نظر إلى وجه هدى الممتقع.. إنه يعرف تلك النظرة.. لكنه انسحب بهدوء قائلاً:

- لحظات وأعود.. وإن لم أعد، فسأرى تصوير الفيديو.

كان يعرف أنه لن يعود في تلك الليلة..

لم يمهل نفسه ليخرج من القاعة حتى أجاب الاتصال:

- خيرًا؟.. قالها بلهفة..

- سيدي لقد تم العثور على مكان ساقي زينب.

الفصل الثالث والعشرون:
سارة

هل سأحبس.. سأسجن؟

لم أفد لجنة التحقيق بأي شيء. كان مجمل ما قلته أنني قد أكون قتلتها.. لكنني لا أذكر..

وأن المعلومات التي حصلت عليها قد رأيتها في جوالي.. قرأتها في الملحوظات.. أو وردت على شكل رسالة في أحد التطبيقات.. لكن..

لا أثر في جهازي لأي شيء قد يفيد التحقيق..

- هل سأحبس؟ سألت وأنا أمسح أنفي الذي بدأت أحس على جانبيه بحرقة مؤلمة من كثرة المسح..

هل أتخيل أن الضابط يحنو علي؟ هل هو حقًّا متعاطف معي؟

- اسمعي يا ابنتي.. لا شيء في التحقيقات يدل على قتلك للمجني عليها.. لكن معلومة الحقيبة المحتوية على أجزاء من الجثة تعني أن لك صلة بطريقة ما بالجريمة..

لنعد من البداية ونسأل: لماذا كنت موجودة في غرفة الأرشيف في تلك الليلة؟

ارتعدت فرائصي.. لماذا ذهبت؟

هل أعترف؟

صمت طويل أعقبه سؤال جديد من الضابط:

- هل كنت هناك للقاء بدر فعلاً؟

- نعم..

- ألم تقولي في بداية التحقيقات إنك لا تعرفين بدر.. وإن تلك الليلة كانت أول مرة تلتقينه فيها؟

- بلى.. كذبت.. خفت من الفضيحة ومن والدي..

شعرت وقتها بأنني مضطرة إلى الكذب على الضابط لأنني لا أستطيع أن أخبره بالسبب الحقيقي الذي دفعني إلى الذهاب إلى الأرشيف في ذلك اليوم..

نظرت إليه ثم تذكرت أحداث المسلسلات التي اعتدت مشاهدتها.. ربما يجب علي أن أكون حذرة.. قلت في لهجة هامسة وأنا أطرق بإصبعي على المكتب...:

- هل أحتاج إلى محام أثناء التحقيق؟

- لست متهمة بل شاهدة.. إلى الآن على الأقل..

لكن لا دليل على صحة شهادتك سوى ما وجدناه فعلاً في المنطقة المشار إليها.. بعد فحص جوالك من قبل خبير سوف نتحقق إن كانت قد وصلتك أي رسائل تم محوها أم أن هناك

مصدرًا آخر للمعلومات التي يفترض أنها وردت فيه.. ربما تم (تهكير) هاتفك.. تحصل كثيرًا.

مصدر آخر.. إنني أفهم ما يعنيه.. أنني أتخيل...

أنني أعرف معلومات عن الجريمة وأن جنوني هو ما يخبرني بما جرى من أحداث..

أعدت السؤال للمرة المئة:

- هل سيتم حبسي؟

الفصل الرابع والعشرون:
المقدم أصيل:

بدر أم سارة؟

بأي الخيطين نمسك؟

تم إطلاق سراح سارة بضمان مكان إقامتها.. مرة أخرى

فكر ..... إنه يحتاج لأن تكون سارة طليقة.. فربما تعود لفك شفرة جديدة..

قال منذر..:

- لم أنت مستبعد أن تكون هي الفاعلة؟

- سارة؟

أجاب المقدم أصيل..

يكاد يقسم إن سارة ليست الفاعلة.. إنها غير قادرة جسديًّا على ارتكاب الجريمة.. مع أنه يعلم أن لديها ما تخفيه..

حدسه يخبره أن لبدر الحصة الأكبر من الشك.. ربما استُهدفت سارة فيما بعد لإبعاد الشكوك عن دائرة بدر..

تم التحقيق بشكل ودي مع زوجة بدر السابقة.. وخطيبته الأخيرة..

يبدو أن بدر يلعب الآن دور شهريار المحاط بالنساء باختلاف أنواعهن.. المقتولة والمطلقة والمغدورة والعشيقة.. والسابقة والتالية ... لقد ذكره بكاظم الساهر في نقطة ما.

هل الغيرة هي المحرك الرئيس للجريمة؟

ربما أرادت واحدة من النساء في دائرته توريطه في الجثة بعد اكتشاف لقاءاته بسارة في تلك الغرفة.. ربما تكون إحدى معجباته.. لم يسفر التحقيق عن أية معلومة مفيدة..

أخذ يوسع دائرة أفكاره.. أكثر..

ربما أحد ابنيه؟

قد تكون جريمة محكمة إن صدق تخمينه.. إن كان المجرم أراد الإطاحة ببدر وسارة معًا..

سقوط الجثة كان بغرض النيل من العشيقين.. والرسائل لسارة بهدف تثبيت التهم..

هل سارة بهذا الخبث لتمحو الرسائل؟ أم أنها مريضة نفسيًا كما ورد في تاريخها ما قد يجعلها هي الفاعلة؟..

أم أن من اخترق جوالها قد محاها فعلاً ليعبث بعقلها. لقد بعبع والدها في وسائل التواصل عن أنها مريضة نفسيًا.. لقد سهل ذلك على المجرم أن يوهمهم أنها تتخيل..

يجب أن يتم الكشف على صحة سارة العقلية.. فربما يتضح أنها مجرمة عنيفة تتغطى تحت ستار البراءة والنعومة..

ضرب على المكتب من كثرة الأفكار..

لماذا الاستعجال؟ سيظهر تقرير التقني عن سجل الرسائل والتحديثات على الهاتف.. كما ستظهر نتيجة الطب الجنائي الخاص بتحليل الساقين.. الصبر.. الصبر هو ما تملك الآن يا أصيل..

الفصل الخامس والعشرون.

بدر

- نعم؟!!! ابني براء؟؟؟؟

صرخ بدر ثم أدرك أنه أمام ضابط شرطة..

أمسك برأسه من هول الصدمة.. ثم خفض صوته وقال مترجيًا:

- لا لا.. أرجوكم!.. ابناي بعيدان كل البعد عن هذه الموضوعات..

أجاب المقدم أصيل .....:

- إنه مجرد تحقيق صغير عن محتواه في وسائل التواصل الاجتماعي.. سنناقشه فيما ينشره من محتوًى عن القرصنة و(تهكير) الهواتف والأجهزة وما إلى ذلك.

- إنه تخصصه.. إنه يدرس الأمن السيبراني ويعرف خبايا هذه الأمور.. هذا كل ما في الأمر.. إنه يعطي معلومات عن القرصنة وتأمين الأجهزة ضدها.. لا يعني هذا أنه (هاكر)!

لا يمكن التحقيق معه في قضية قتل.. ما الدافع بالله عليك؟

- أنا متفهم سبب انفعالك سيد بدر.. لكن يجدر بنا التحقيق مع كل شخص قد يكون متضررًا من علاقتك بسارة.. وقد يريد أن يوهمها بأنها الفاعلة.

- لماذا يكون ابني متضررًا؟ أنت لا تعرفه..

- من أجل والدته.. من أجل سمعته..

لم يعرف بدر ما يقول.. إن قال أن لا علاقة أصلاً بينه وبين سارة.. وأصر على أنه لم يرها قبل تلك الليلة.. فسيناقض كلامه ادعاءها الأخير.. وسيبدأ البحث عن سبب وجودها في غرفة الأرشيف.. السبب الذي يتوق إلى معرفته والذي يتمنى في الوقت نفسه ألا يكون ذا علاقة بزينب..

في وقت سابق آثر أن يسكت ويستر على سارة لأنه يعرف أن المصلحة تقتضي أن يحمي من لا ذنب لها في الجريمة.. ولا في الفضيحة..

لكن الآن.. هل يستمر في السكوت؟ هل يدع ابنه يدفع الثمن؟

- سنقوم بتفتيش أجهزته.. والتحقيق معه عما يعرف وما لا يعرف..

تخيل وجه براء أمامه.. براء البريء.. الطفل في جسد شاب.. إنه محافظ على الصلاة.. ومتفوق في الدراسة.. لقد قال له مرة.. إن ضباط المرور في نقاط التفتيش يدعونه وشأنه.. لأن مجرد منظره يدل على الاحترام..

حاول مرة أخرى..:

- سيدي لم يدخل براء يومًا قسم شرطة.. إنه من النوع المدلل الذي لا يعرف سوى أن يأكل ويستذكر ويلهو مع أصدقائه..

صدقني.. لم يكن حاقدًا علي.. حتى عندما كنت خاطبًا لريفان.. لقد تقبل الأمر هو وأخته بشكل طبيعي.. تعرف.. إن والدته سيدة فاضلة.. تعرف كيف تربي أبناءها على الفضيلة والنزاهة..

تذكر طليقته.. وما ستشعر به إن عرفت باستدعاء ابنها للتحقيق معه.. ستلومه.. ومن غيره يلام في هذه النائبة؟.. وتلك الورطة التي حلت ليس فقط على رأسه ولا على رأس ريفان بل على رأس كل من هو في محيطه؟

لكن.. كان لا بد من الاستسلام..

يجب على الشرطة التحقق من قضية قرصنة الهاتف والتحقيق مع أي مشتبه به..

وهكذا تم استدعاء براء للتحقيق..

الفصل السادس والعشرون
المقدم أصيل

لم يخبر المقدم أصيل بدر بكل شيء.. فبراء لا يبدو بريئًا وساذجًا كما يعتقد أبوه.. هل جميعنا يا ترى ضحايا لهذا الشعور؟ الشعور بأن أبناءنا أطفال لا يفقهون شيئًا؟

نرى أبناءنا ملائكة وننسى أنهم بشر قادرون على فعل الخير والشر..

أسفر التعاون مع الشرطة الرقمية عن أن براء يستغل مهاراته التقنية في أكثر من وجه.. وأن على ضباط المرور ألا يحكموا على براء من مظهره كما يدعي..

صحيح أن هذه قضية أخرى.. لكن الموضوع أثار داخله شعورًا غريبًا.. كيف نحمي أبناءنا؟

كيف نربي أبناءنا في ظل كل هذه التطورات؟ كيف نقنعهم بأننا آتون من ضفة النضج ونريد لهم أن يحذروا من دوامات تخطيناها بصعوبة؟ نريد منهم فقط أن يصلوا إلى الضفة بسلام؟

هل سيأتي يوم يجد فيه ابنتيه الحبيبتين تعرفان أشياء يجهلها هو؟

كيف يحميهما من شر لا يعرفه؟؟ كيف يحذرهما مما هو قادم؟

تنهد بعمق ثم أراح كتفيه المتشنجتين..

ليس الأمر بهذا السوء من جهة براء..

لم يرتكب الفتى جرائم بمعنى الكلمة.. لكن بعض أفعاله طائشة نوعًا ما..

من جهة أخرى وجد اهتمامًا من جانب براء ومجموعة شبان من عمره بقضايا لم تكن تهم أبناء جيله.. جيل الثمانينيات..

وجده مشتركًا في حملات لتطهير قاع البحر.. رابطات الحفاظ على البيئة.. مشتركًا في مواقع تجرم عمالة الأطفال.. تهتم بالاستدامة..

هل الولد صالح أم لا؟ وما هي المقاييس في جيلهم هذا؟

المهم في قضيته الآن هو أن يعرف صلة براء بهاتف سارة.. أو أن يعثر على أي رابط يدل على وجود أي قرصنة لهاتف يخصها..

بعد التحقيق مع براء اتضح للمحقق أن كلام بدر عنه لم يخلُ من الصحة خصوصًا فيما يتعلق بكونه مدللاً..

فقد اعترف الصبي على نفسه باعترافات بلهاء.. لا معنى لها ولا علاقة لها بالقضية..

كما أن منظره وهو يصلح نظارته الطبية ويحاول أن ينظفها وكأنه فقد القدرة على الرؤية قد أثار تعاطفه..

سأله منذر عن معرفته بسارة فرد:

- الخطيبة الأولى أم الثانية؟..

- الزوجة.. صحح له منذر..

ارتد الصبي إلى الوراء وقد خف توتره..:

- أنا أعرف ريفان.. قابلتها مرة.. ولا أحبها.. لكن لم أقتلها..

- ليست ريفان من قتلت..

- آه سارة.. كنت أتمنى أن يكون اختيار أبي للثانية أفضل.. الله يرحمها لكن لم أقتلها هي الأخرى..

نظر المقدم أصيل إلى زميله ليتحقق هل هذا الولد شديد الغباء أم الذكاء.. فالأب يقول إنه عبقري..

هل هذا منظر العباقرة في هذا الزمان.. وهل هذه ردودهم؟

- زينب..

آه هناك زينب أيضًا.. أطلق براء ضحكة مكتومة.. يبدو أن الصبي قد خف توتره.. هذا جيد..

لكن براء اعتدل في الجلوس عندما لاحظ جدية نظرات منذر وأصيل:

قال أصيل مذكرًا الصبي:

- نحن هنا لمعرفة إن كان لك اتصال بهاتف سارة أو (تهكيره)..

- التي ماتت؟

لا..

لاحظ المقدم أصيل أن الأستاذ راشد المحامي يحاول أن ينبه براء

إلى ضرورة احترام التحقيق.. لكن دون جدوى.. فالصبي يبدو من النوع المهذب لكنه يفتقر إلى معرفة العادات والتقاليد المحلية.. فجلسته مثلاً ليست مهذبة.. لعل هذا بسبب طوله الفارع.. تساءل أصيل إن كان طول قامته هو شخصيًّا يتجاوز 180 سنتيمترًا فكم سيكون طول قامة براء يا ترى؟

لاحظ نظافته الشخصية وقصة شعره المشذبة وترتيب هندامه.. يبدو متطورًا.. مستقرًا نفسيًّا إلى حد كبير كما يبدو أنه ليس من النوع الذي قد تضايقه زوجة أو حتى عشيقة أب.. فلا يوجد من كلامه دليل على أي غيرة ممكن أن تكون دافعًا لمضايقة سارة أو غيرها..

يبدو أن منذر قد فاض به الكيل فقال بنبرة ناهرة:

- أرجو أن تحترم وجودك معنا في التحقيق.. فكونك أصبحت تعلم بأنك لست متهمًا لا يعني أن تتعامل معنا باستخفاف..

اعتدل براء وقال:

- آسف.. يمكنكم أن تمسحوا كافة أجهزتي.. لا يوجد لديّ ما أخفيه.. سوى ما اعترفت به من قبل.. أعني بالنسبة لتلك المواقع.. أما عن ريفان وسارة.. والأخرى... فلا توجد لديّ أي معلومات.

وهكذا عاد التحقيق إلى نقطة الصفر من جديد..

الفصل السابع والعشرون

بدر..

حاول بدر قدر المستطاع أن يعيد الحياة الطبيعية إلى مجاريها بعد أن طلب منه المقدم أصيل أن يتصرف على هذا النحو.. يبدو أن لديهم خطة ما لاستدراج المجرم...

أو لإقفال القضية لعدم كفاية الأدلة..

كم يتمنى أن تقفل القضية.. أن تقيد ضد مجهول..

عندما توقفت الرسائل، أو عندما توقفت توهمات سارة.. بدأ يحس أن الأمور قد تنتهي إلى خير..

لقد سئم من الحياة المقلوبة التي ظل يعيشها قرابة الشهرين...

لديه مبلغ كاف من المدخرات يتيح له فتح مكتبه الخاص.. يمكنه البدء من جديد.. كما أنه حصل على عروض لحضور لقاءات تليفزيونية.. يبدو أن شهرته قد اتسعت مع تزايد الطلب على مشاركته في فعاليات مختلفة في المجتمع.

لكنه لم يتجاوب مع أي منها..

إنه يريد حقًّا أن تنتهي زوبعة هذه الجريمة التي لطخت كل شيء.. يريد أن يبدأ صفحة نظيفة بدون شكوك.. يريد أن يتيقن.. أو يطمئن

يطمئن أن سارة ليست...

سارة..

إنه يحيا معها حياة طبيعية منذ ما يقرب أسابيع ثلاثة.. سمح لنفسه أن يعطي هذا الزواج فرصة.. فمع جميع التناقضات بين عالمه وعالمها.. ومع الظروف العجيبة التي أحاطت بزواجهما.. إلا أنه أحس أن هذا الزواج أكثر شيء صائب في الحياة.. كيف؟ لا يستطيع التفسير!

لقد عد نفسه يعيش شهر عسل من نوع خاص مع عروسه الجديدة.. شهر عسل يشوبه التوتر حينًا.. والليالي الواجمة حينًا آخر.. والارتياح أيامًا أخرى..

اعتاد النوم وسارة بين ذراعيه. يحميها من أفكارها ويحمي نفسه من الأفكار ذواتها..

ليت هذه الجريمة هي مجرد كابوس.. نستيقظ منه على حياة سعيدة..

لا وجود فيها للسيقان.. ولا للجثث ولا للحبس أو القتل.. ولا للتحقيقات..

ليت هذه الهدنة تستمر.. طويلاً..

أخذها يومًا إلى منزل والديه..

استقبلاها استقبالًا باردًا إلى حد كبير..

فمع تقديم كل تلك العبارات المرحبة.. كان بدر يعرف والديه

جيدًا...ويعرف أن ما بداخلهما تجاه زيجته هذه شعور يتعدى الاستغراب. والخيبة.. كانا راضيين عن ريفان.. مع وجود الفارق الفكري بينهما..

لكن والدته بالذات كانت مؤيدة بشدة لفكرة الانتقام من طليقته بفتاة كريفان..

لكن سارة..

لا يفهم لماذا لا يريانها جميلة..

مع أنها جميلة جدًّا..

مهذبة متدينة..

صادقة

هل يرجع السبب إلى أنها لا ترتدي العلامات التجارية الفاخرة؟ هو شخصيًّا لا يستطيع تمييز التفاوت بين فخامة هذه العلامات ولا يعرف ما هي معايير المفاضلة بينها..

هل يرجع السبب إلى أن والدها يشبه معلم العلوم؟

أم لأنها تحمل دبلومًا بدلاً من شهادة عليا؟

أم لأنها كانت تعمل في محل بيع العطور؟

تمنى بداخله فقط ألا تكون تلك الطاقة الباردة قد تسربت إلى إحساس سارة.. وهو ما استبعد حدوثه.. كيف لا وهو يرى أنها أكثر إنسانة استشعارًا لأحاسيس من حولها؟..

كان يرفع نظره إليها وقت العشاء وهو يعرف تمام المعرفة ماذا تخبئ داخلها من مخاوف.. شعر برغبة في أن يرسل لها رسالة تطمئنها..

وتمنى لو أنه اختار لزيارتهما يومًا آخر يقتصر عليهما وحدهما.. بعيدًا عن هذا اليوم الذي اجتمع فيه جميع أفراد العائلة ولم يتوقفوا عن التحديق فيها ككائن غريب يزورهم أول مرة..

كانوا جميعًا ينظرون إليها.. وتخيل ما يمكن أن يتردد داخلها من عبارات..

فهي في نظرهم عشيقته.. واكتشاف أمرهما جاء مصاحبًا لجريمة قتل و و و..

بعد حادثة حقيبة الساقين بدأت الأمور تتجه إلى الهدوء.. فقد أكد له صديقه المحامي راشد والذي يبرع في القضايا الجنائية.. أن مصادرة هاتف سارة والتحقيق معها هما أمر في مصلحتها.. فربما يحاول أحدهم أن يتلاعب بهما..

آه لو يعرف من الذي يحاول النيل منه بهذه القضية الساذجة.. إنها على حد قول راشد قضية فيها ثغرات كثيرة.. تبتعد كل البعد عن مصطلح الجريمة الكاملة.. لكنهم ومع هذا لم يتمكنوا إلى الآن من فك العلاقات والشفرات.. لأن بدر معارفه كثيرون.. وعلاقاته متشابكة.. ومنافسوه وعملاؤه كثيرون.. وانتشار القضية في وسائل الاعلام زاد من انتشار الإشاعات حولها.. وأدى إلى استنتاج الفرضيات.. ما أعطى للمجرم فرصة ليأخذ حذره..

عاد وذكر نفسه أنه الآن يجد حياته الهادئة (إن استثنينا أمر الجريمة) مريحة له..

لقد رتبت سارة له المنزل بشكل جميل..

لم يدرك يومًا أن شقته المؤقتة - التي اتخذها لحين اكتمال الفيلا الفاخرة التي لا ترضى ريفان بغيرها - جميلة بهذا الشكل..

فقد رتبت سارة ركن قهوة متواضعًا من الأدوات الموجودة في الشقة..

وعطرت المنزل بالشموع..

وزينته بوسائد ابتاعتها من السوبر ماركت يوم ذهبا لشراء بعض الأغراض..

تلقى بدر مؤخَّرًا اتصالاً من ريفان تخبره فيه بأنها يمكن أن تتنازل وتفكر في إعادة النظر في علاقتهما في حال طلق تلك القروية على حد قولها:

- أطلقها؟

- نعم؟؟ هل تفاجأت؟ لقد كانت هذه هي كلماتك في بداية المصيبة التي أوقعتها على رؤوسنا..

تململ في الحديث..

- لكن الوضع اختلف الآن

قالها بتردد..

ردت بعنف مناقض للنعومة التي كانت تتصنعها في بداية الحديث:

- اسمع.. إن كانت نزوة.. وكنت تلتقي بها في السابق لأي غرض.. أو حتى لو كنت متزوجًا بها لتتخذها كنوع من (التصبيرة)

حتى أنتهي من رسالة الماجستير.. فسأحاول أن أنسى الماضي.. ونبدأ من جديد. سأحاول أن أمد لك يد المساعدة.. أعرف أن حياتك قد شارفت على الدمار.. ولكن يحق لأي شخص أن يمنح فرصة ثانية..

- سأفكر....

قالها في محاولة للتخلص من الإلحاح.. فهذه هي طريقته دائمًا في التعامل مع ريفان.. يضع طلباتها وكلماتها على رف.. على أمل أن تنساها وتتركه ينعم ببعض الراحة..

أنهى المكالمة وهو يفكر..

لقد اعتاد وجودها.. هل تريد هي إطلاق سراحها؟

هذه المرأة التي تنعتها ريفان بالقروية تسعد كل مساء بتحضير صينية القهوة والشاي وطبقٍ مختلفٍ من الحلوى يتمتعان بها في وقت (المغربية) كما كانت تسميها..

هذه القروية لم تطلب منه يومًا طلبًا ماديًّا..

وبعد استقرار حالتها بعد جرعات الدواء.. وبعد أن صودر الهاتف وأصبحت لا تملك سببًا يدفعها للتوتر.. أصبح ينسى أنها كانت تعاني مما يسمى بالـ ocd كما تحب أن تسميه..

لقد أطلقت مرة نكتة وضحك منها ضحكًا هستيريًّا.. هي تعرف حقًّا كيفية إطلاق (القفشات) والتلاعب بالكلمات.. ذكية حتى في التلميحات.. والتقاط المعاني.

لقد أعجبته فتاة غرفة الأرشيف.. لا ينكر أنها أسرته منذ تلك الليلة.. عندما تقاسما البسكوت المملح وتحدثا على أرض مبتلة بالقرب من الجثة الهامدة.. لكن هذه التي أمامه هي نسخة أفضل منها.. جميلة.. مهذبة متزنة.. لماحة..

فكر مع نفسه.. يجب أن يفكر ألف مرة قبل أن يتركها تضيع من بين يديه.. ويعود بقدميه إلى ريفان الكثيرة السخط المملة.

جاءه اتصال من راشد يدعوه للقاء بشأن القضية..

(ذكرنا القط فجاءنا ينط)..

يا لهذه القضية التي تزورنا تبعاتها بعد كل مرة ننعم فيها بالهدوء..

توجه بسرعة إلى مكتب راشد بناء على طلبه.. داعيًا الله أن تكون الأخبار إيجابية هذه المرة مع أن جملة راشد القائلة: "إن الموضوع غير قابل للنقاش عبر الهاتف" أثارت توجسه:

- هل أسفر فحص الطب الشرعي عن دليل؟

- لا.. ليس بعد ولكن.. يجب أن أخبرك يا بدر بأنه قد اتضح أن بعض الرسائل تم مسحها بالفعل من هاتف سارة..

- ماذا يعني هذا؟ هي لم تمسح أيًا من الرسائل..

- يعني أن سارة لا تتخيل.. لقد كانت هناك ملاحظات مكتوبة فعلاً وممسوحة..

- هل تمت قرصنة هاتفها؟ هل المجرم هو من كان يراسلها؟

انسابت حرارة داخله عندما رأى رأس راشد يومئ بالنفي:

- لقد كانت تراسل نفسها، اسمع يا بدر.. لم تتم قرصنة هاتفها أو التحكم به من قبل أي أداة خارجية..

- ما معنى هذا؟

هل سيتم استدعاؤها؟

قالها بفزع.. سيقبضون على سارة؟

لقد اقتربت الأدلة منها..

هل هي مجرمة؟

لا يمكن تصديق هذا.

الفصل الثامن والعشرون
سارة..

لا أعرف من أين أبدأ.. ولا كيف وصل بي الحال إلى ما أنظر إليه الآن

أحسست بالحرارة تندفع إلى وجهي ثم تسري إلى بقية جسدي..

هل أهرب.. إلى أين أذهب؟

مصيبة أخرى قد وقعت على رأسي..

إلى أين أذهب بهذا الشيء الذي أتى دون موعد أو دعوة؟..

كيف سأتصرف تجاه هذا المنعطف الخطير في الأحداث؟..

-ليس وقته.. أو مكانه.. أو زمانه..

يا ويلتا!..

نظرت إلى الخطين الأحمرين.. ثم ضربت على رأسي من الصدمة وكأنني أستوعبها الآن.. الخطين.. اللذين كنت أسمع عنهما ولا أراهما.. الخطين اللذين تمنيتهما من كل قلبي في زواجي الأول.. الخطين اللذين كنت أتفاعل مع وجودهما في المسلسلات والأفلام ومقاطع التيك توك.

- حامل!!!

حامل؟؟؟؟

أي خبر هذا؟

هل ما كنت أتمناه خلال سنوات.. يحصل الآن خلال أسابيع!!

ومع من؟.. بدر..

بدر وكل القصة المعروفة

أيتها البلهاء... يا غبية!..

ألا تعرفين أنك مجرد تسلية.. زوجة للعب فقط؟.. هذه الزيجة بالنسبة إليه ليست حقيقية؟ لقد سمعته يتحدث مع ريفان بشأن طلاقه لك.. وتعرفين مكانتك الصحيحة.. لم انجرفت وراءه كالبلهاء.. كيف صدقت أنه يحبك.. ويرغب في اتخاذك شريكة حياته.. هل صدقت كل علامات الحب الزائفة؟

حب؟

هل هذا وقت الحب أصلاً؟!!!!!

صرخت في الحمام وأنا ألقي بكأس فرش الأسنان في الأرض.. وأعض على يدي عقابًا لها..

لم أحمل طوال سنوات خمس قضيتها مع محمد..

كيف يتم الحمل بهذه السرعة؟

ماذا سيقول عني الناس؟ أنني فعلاً عشيقته... أنني أعرفه من قبل؟..

لقد زادت ساقاي توغلاً في الوحل..

أي طفل سيولد في هذه الظروف؟

ففي كل يومين يتم التحقيق معي. وفي كل يومين يظهر دليل جديد..

ومن ناحية أخرى.. أنا مريضة.. أتناول الأدوية النفسية..

من يريد طفلاً أمه تتعاطى؟..

هذه الحياة المثالية ليست لي..

كيف خدعت يا سارة كيف؟

كيف سأصارح بدر؟

حامل؟!!!!

آسفة أيها الزائر الجديد...

فمن تحملك هي مريضة متهمة سيئة السمعة..

الفصل التاسع والعشرون
المقدم أصيل:

- سيدي.. لديّ أخبار جيدة..

لقد ظهرت نتيجة المعمل الجنائي لفحص ساقي زينب..

أصابه شيء من القشعريرة.. لم ير الحماسة على وجه الرائد منذر بهذا الشكل منذ أن استلم القضية.. يبدو أن هناك أخبارًا جيدة..

حادثه قبل فترةٍ العقيد أحمد بلهجة موبخة ولامه لعدم إحرازه تقدمًا في القضية.. لكن الآن لاحت بشائر الفرج..

- هيا بشرني..

قال محاولاً إخفاء لهفته..

- لقد وجدنا بقايا حمض نووي تحت أحد أظافر قدم زينب.. لا بد أنها قد خدشت الجاني بقدمها أثناء المقاومة..

- و؟؟؟؟؟؟؟

لماذا يتحدث بالتقسيط؟ لماذا يلقي بالمعلومات فرادى.. هل يتعمد العبث بأعصابه.. لماذا لا يأتي بالمفيد دفعة واحدة؟

- إنها على الأرجح آثار دماء وجلد سارة....

- سارة؟؟؟؟؟!!!!!!

كيف؟

هل كانت تخدعنا؟ كيف؟ أمر لا يصدق

تلك الأفعى..

كيف؟

- سيدي هل أتمم إجراءات القبض عليها مباشرة؟ نستطيع إصدار مذكرة الضبط الآن.. يوجد الآن دليل.. وحجة غيابها ليست قوية بقدر كاف.. إذ ليس لديها شهود على وجودها في المنزل وقت الجريمة سوى أهلها.. وقد يكونون يتسترون عليها..

- انتظر..

قالها المقدم بهدوء

مثل هذا الموقف يجب أن لا يؤخذ بهذه الطريقة...

فكر

هل هذا هو حل القضية؟

هناك شيء غير مقنع!

مريضة نفسية ترتكب جريمة وتنسى ارتكابها لها..

هل هناك شخصية أخرى تتلبسها وتقوم بأفعال إجرامية؟ هذا خطير..

هل ستقفل القضية بأن يزج بالمجرمة سارة في المصحة العقلية؟؟

توجد حلقات مفقودة.. وتوجد أسئلة كثيرة..

يوجد دليل ولكن ....

يجب التريث في الأمر..

إنه يريد أن يكشف اللغز كاملاً

فلا تكفيه فقط إدانة سارة.. أو حتى مصادقة الطب النفسي لحالتها...

وبدر.. الزوج السعيد.. سيعاونه على الكشف عن خبايا هذا اللغز.

الفصل الثلاثون

بدر

رأى حلمًا مزعجًا لم يبارح خياله منذ استيقظ..

رأى سارة تتدلى من مكان عالٍ وتحاول الهرب..

أراد حمايتها لكنه كان ينظر إليها بكل هدوء..

ثم ظهرت زينب تكنس غرفة الأرشيف وتشير لسارة.

الجريمة تسيطر على تفكيره وتلاحقه في اليقظة والمنام..

توجه نحو غرفة سارة..

حاول فتح باب الغرفة ببطء وهدوء..

إنها تصر على نومها في غرفتها المنفصلة من آن لآخر.. وكأنها تطمئنه أن له حرية الهرب متى ما أراد..

ما هذا النوع من النساء؟

ما الفرق بينها وبين ريفان؟

لماذا تثق ريفان في نفسها إلى درجة تصل إلى حد الغرور.. ولماذا ترى سارة نفسها الأقل والأقل؟

كيف تكونت هاتان الشخصيتان بهذا الاختلاف المطلق؟

لام نفسه لملاحظته غروره هو الآخر.. لماذا يعد نفسه صيدًا ثمينًا؟ إنه على شاكلة ريفان ولا شك.. لكن قد تكون هذه المسكينة التي ترى نفسها الأقل هي في الحقيقة أفضل منهما جميعًا..

لقد خرج من هذه التجربة بدروس لم يتعلمها طوال سنوات دراسته ومهاراته التي اكتسبها والتي تملأ سيرته الذاتية.. السيرة السطحية التي يتشدق بمحتواها في كل ورشة يقيمها وكل لقاء تلفزيوني..

أي شخصية هشة هي شخصيته؟ أي حياة مسطحة بلا أبعاد كان يحياها؟

كان يظن نفسه مخضرمًا مفوهًا حكيمًا..

لكن هناك كثيرًا من الأغوار لم يسبرها ولا يدري عنها شيئًا وهو في برجه العاجي.. ينظر إلى الناس من عليائه ويضع لهم خطوات حياتهم.. ويعلمهم كيف يحيون.. وكيف يتجنبون الصدمات.. وكيف يكونون ممتنين..

لا.. لم يكتف طموحه بكل هذا بل هو أيضًا في طريقه للمدافعة عنهم وعن حقوقهم بعد كسب رخصة المحاماة.

أي مستشار قانوني يطمح أن يكون وهو يحفظ قوانين لمشكلات لم ير معظمها على أرض الواقع؟..

سارة.. في حياتها طبقات.. كل طبقة تكشف عن الأكثر داخلها.. أما هو فمعرًّى.. سوى من طبقة صماء.. لا معنى لها..

طبقة لامعة جميلة منمقة.. من شدة بساطتها بدت صلدة بلا انحناء. أو ثقوب.

حياته ذات اتجاه واحد محوره (هو).. وهو فقط..

لقد وضعها الله في طريقه لحكمة.. أن تريه الحياة من منظور مختلف..

أعجب بنفسه وهو يستنتج الدروس ويتعلم منها.. وعاد وفكر في أنه حتى عندما يعترف بأخطائه ويتعلم الدروس، يرتكب الحماقة نفسها بأن يعجب بإنجازاته..

لو كان يجب عليه فعلاً أن يعجب بشخصية فليعجب بشخصية سارة.. التي تجمع المتناقضات.. التي تسقط وتقف.. التي تحارب داخليًا وخارجيًا..

التي تطمح أن تعيش.. وفي طريق ذلك الطموح.. تنظر إلى من هم حولها لتتفقدهم.. وترفض أن تمضي في طريق يدوس أحدهم..

لعله من دراسة حالتها يخفف من قوة الأنا الضاربة في أعماقه..

استيقظت سارة وخرجت من باب غرفتها التي زارها للتو..

لربما أحدث قرقعة أقلقت نومها..

لاحظ أن وجه الطمأنينة قد تلاشى من ملامحها.. فأوجس خيفة.. ترى ما الجديد؟

لقد أخذها البارحة إلى أخيها لتزوره.. والآن يجدها متوترة ضائعة..

- أريد أن أزور جواد اليوم.. لقد أرسل في طلبي..

نظر إلى هاتفها البسيط الذي لا يستقبل سوى رسائل نصية.. أخبرها ألا تشارك الرقم مع أحد إلا في أضيق الحدود..

لم يرد أن يكون من نوع الأزواج الذين يغارون.. يريد أن يكون متفهمًا.. لطالما كانت مشكلاته مع أم أولاده تدور حول قضايا من هذه الشاكلة..

(تزورين أهلك أكثر من اللازم.. لا تلتزمين بروتين حياتنا)

لكن الآن... أصبح لا معنى لكل هذا.. فما بين شدته مع أم أولاده ودلال ريفان لم يعد يعرف ما الصواب..

ليدعها تذهب لمن ترتاح له..

أعاد التفكير في حلمه السيئ ثم نفض أفكاره البالية.. ليركز أكثر في الواقع..

ما العمل؟؟

ما أنا صانع بحياتي الآن؟..

وكأن العالم يسمعه من الخارج.. إذ جاءه الاتصال يطالبه بالعمل:

مكتب التحقيق يطلبه...

- لا أصدق..

انهار داخليًا..

سارة؟

الفاعلة؟

لم يستطع تمالك نفسه أمام المقدم أصيل، لكن المقدم أشار إليه بالجلوس:

- قد لا تكون القاتلة المباشرة.. لكن الأكيد أن لها علاقة مباشرة بالمجني عليها.. التحاليل لا تكذب.. يوجد بقايا حمض نووي يثبت ذلك.

وهذا يتنافى مع شهادتها بأنها لم تكن لها علاقة مباشرة بالضحية.. ولم ترها من قبل.

هل كان مخدوعًا فيها؟

أمن جملة مساوئه أنه لا يستطيع الحكم على الناس؟

هل كانت تمثل المرض والوساوس؟

أكانت ممثلة بارعة؟

هل دفعها أحد في طريقه؟

ما الغرض؟؟ ومن هو؟؟

عاد من أفكاره على صوت أصيل:

- نريد منك التعاون أستاذ بدر.. يجب أن تراقب سارة.. وتحركاتها.. نريد أن نعرف الحقيقة كاملة قبل أن يتم القبض عليها..

ثم التفت إلى الرائد طالبًا منه التقرير الكامل للقضية..

نظر إليهما بدر بذهول..

لا يصدق إلى الآن أنه يعيش مع مجرمة.. وأنه سيشترك في عملية للإيقاع بها..

تكلم بعد حالة الصمت التي اعترته:

- سيدي.. أظن أن هناك لبسًا ما.. لا يمكن لسارة أن تكون الفاعلة.. وإن كانت.. فلماذا كانت معي في الغرفة؟ لا أفهم يا سيدي..

- نظن أنها مشتركة في الجريمة.. لا يمكن لها أن ترتكبها وحدها.. لكن ما لا يدع مجالاً للشك هو أن حمضها النووي مطابق بنسبة مئة في المئة مع العينة..

سكت المقدم لفترة وهو يتفحص الملف...

ثم ارتفع ببصره إلى الرائد منذر ورمى الملف في وجهه بعصبية مفاجئة..:

- ما هذا الهراء؟.. أنحن في مسرحية أطفال؟!

لم يفهم بدر ما حصل..

كل ما عرفه الآن.. أنه لا يفهم شيئًا..

ولماذا يتشاجر أصيل ومنذر.. وهل له علاقة بما يقولان؟

هل ما يحدث هو تفسير الكابوس الذي زاره اليوم.. هل تحول الحلم إلى حقيقة؟

هل سارة على وشك أن تسقط في يد العدالة؟

الفصل الحادي والثلاثون:
سارة..

قبل أن أفجر الخبر الصادم في وجه بدر.. يجب أن أصلح شيئًا من الأمور..

إحساسي بالذنب تجاهه لا يمكن تجاهله..

كيف لي أن أساعده على الحصول على عمل؟ لقد جررته إلى عالمي بلا شك.. عالم العاطلين ومشوهي السمعة..

كيف أصلح ما أفسدته؟

فكرت في طريقي إلى منزل جواد وأنا أنظر للناس من نافذة السيارة.. أتساءل لماذا يبدون جميعهم آمنين مطمئنين يسيرون في دعة ورخاء.. بينما أنا أعاني الأمرين في حياتي..

لقد تركني أبي في عرض الطريق وكأنه قد أزاح حجر عثرة من طريقه.. يقابلني بترحاب كلما زرته لكن داخله إحساسًا بالراحة كون مصيبته أصبحت مصيبة غيره..

هل أنا مصيبة لهذه الدرجة؟

حتى عفاف كلما زرتهم تنظر ولغة جسدها تعد الثواني حتى أعود من حيث أتيت.. وقلبها يخفق خوفًا من أن أعود وأحتل

الغرفة (غرفتي) التي في أشهر قليلة قد حولتها غرفة لابنها الصغير..

أما منار.. فلم أعرف لماذا كانت تحمل تجاهي كل هذا الحقد.. لم جعلتني عدوة لها دون سبب؟ اكتشفتُ أنها كانت سعيدة بحياة الشقاء التي كنت فيها.. وأنها تتمنى أن أظل مريضة.. أظل عَزَبَة.. أظل مفلسة..

لديّ أفكار من كل نوع وشكل.. تخص كل شيء.. الماضي.. الحاضر..

هل الدواء مناسب للمرأة الحامل؟

هل أنا حريصة على الطفل القادم؟

ما وضع هذا الصغير؟

ماذا لو سقط وانتهى الحمل.. هل أريد بقاءه أم سقوطه؟

نعم الأفضل أن يسقط.. لكن.. لا.. الفكرة مرعبة.. أريده..

ماذا لو عاش..

ماذا لو ولد لأم مريضة.. ماذا لو ولد مشوهًا؟..

بدر.. هل سيرحب به؟ ماذا عن جواد؟

هكذا هي الأفكار تعتمل في عقلي.. بعشوائية متطايرة..

أقفز من هنا إلى هنا وأرى الشخوص تظهر وتختفي من أمامي مثل إضاءات النيون..

تعبت..

سأذهب إلى جواد.. هو الشخص الوحيد الذي يحتاجني.. الوحيد الذي وضعه أسوأ من وضعي.. الذي وضعني الله له لأكون سببًا في إخراجه من المستنقع..

أخي هو ملجئي.. من يحبني دون شروط وبدون أحكام. الوحيد الذي يسمعني دون تأفف.. الذي يفهم مشاعري.. وماضيّ وحاضري وما سأقوله غدًا وما سأفعله السنة القادمة.. هو من يطمئنني ويقول لي كلمة تربت على روحي..

(ستَزِين)....

وصلت إلى بيته المتواضع الذي لم يتغير حاله..

شاب في الحادية والعشرين بلا مستقبل.. راض بما قسمه الله له.. شخصيته الساحرة تصلح لأن تجعله ممثلاً أو دبلوماسيًّا.. ذو كاريزما.. لا تناسب وضعه.. شاب بهذا الجمال في شقة متواضعة بائسة مثل هذه.. قمة التناقض..

أحسست في الفترة الأخيرة أنه قد تغير من جانبي لكن حادثة الأرشيف قد جمعتنا معًا من جديد.. ما جعله فعلاً السند والعضد الذي يقولون عنه.

لكنها طباعه التي أعرفها منذ جمعنا الشمل. يدخل في كهفه المظلم.. ويعود بعدها إلى طبيعته من جديد... ولعله طبع مشترك مع كثير من طباع الرجال..

نظرت إلى حاله وإلى وضعه غير الطبيعي في الحياة.

إلى حياته المتوقفة.. التي لم تبدأ. متى ستبدأ حياتك يا جواد؟

يعيش في منزل غير صالح لاستهلاك البشر.... ويحيا حياة لا تناسب روحه وشخصه ودرجة ثقافته..

حياة كاملة على الهامش.. غير معترف بوجوده سوى بالنسبة لي.. وكل من يعرفه لا يعرف أنه مجرد ظل إنسان.. يعيش على قوته اليومي الذي يوفره من مشروع تصليح أجهزة الحواسيب من خلال حسابه على الإنستجرام. يصف نفسه بالطفيلي الذي يسرق النت والكهرباء والماء..

ولا أستطيع أن ألومه في هذا الوصف..

حاولت أن أساعده كثيرًا.. وفكرت أن أفتح هذا الموضوع مع بدر.. لكنني في كل مرة أتحاشى الغوص في هذه المنطقة بالتحديد..

جلبت له معي وجبة دجاج مشوي ومشروب صودا..

أعرف أنه لا يتناول سوى الشعيرية الآسيوية..

آه يا أخي لو أنني موظفة حاليًا.. لكان حالنا سيتغير.. لكنت صرفت على تعليمك حتى تصل إلى الجامعة.. لكن..

شرعت في تنظيف المنزل..

لكنني لم أقو على متابعة العمل..

هل أصبحت مدللة بعد أن رأيت الوجه الآخر للدنيا؟

لا بد أنه الحمل كما يقولون..

جلست معه أستمع إلى كلماته عن المسلسلات وحياة هوليوود

الفارهة.. وكأنها حياته الخاصة.. تناول قطع الدجاج وعيناه تشعان من الحماس...

كان متحمسًا لأن خطوة واحدة متبقية ستمكنه من إتمام أموره أخيرًا..

- بمجرد استخراج هذه الوثيقة.. ستسهل علي الأمور.. لا تقلقي يا سارة.. ستزين!!

قدم لي قطعة من الدجاج فابتعدت لا إراديًا للوراء..

لم أحتمل الرائحة..

- لا أريد..

قلتها بخجل..

هل أخبره بأنه سيصبح خالاً قريبًا؟

قاومت رغبة الإفصاح وسألته من جديد..:

- آسفة لأنني لم أستطع مساعدتك في الوظيفة الأخيرة..

- لا عليك.. أنا متعود على الرفض.. قالها بكل إيجابية..

هممت بإخباره بأنني أستطيع أن أطلب مساعدة بدر.. لكن.. قبل أن أفتح فمي

باغتني بقطعة أخرى من الدجاج..

رأيت لمعة الدهن.. وهبت رائحة البهارات إلى أقصى مناطق الدماغ..

لم أستطع..

وجدت نفسي أقول رغمًا عني..:

- لا أستطيع.. هناك ما يمنعني..

- ما يمنعك؟ سأل وهو ينظر إليّ باستغراب.

- طفل في الطريق..

قلتها أخيرًا.. لم لا؟

من غيره سأخبره؟ منار واتضح سوء نواياها تجاهي.. وعفاف لم تكن يومًا موضع سري.. أبي.. لن يفهم ما أشعر به.. بدر هو الوحيد الذي أجد عنده الأمان.. لكن في هذا الموضوع بالذات لن يستطيع أن يكون الخصم والحكم..

أخيرًا أستطيع الإفصاح عن مشاعري لأحد.. أستطيع استشارة جواد عن رأيه بحيادية.. وهل الإبقاء على هذا الوضع من الحكمة مع كل المؤشرات التي تخبرني بأنه وضع غير ناجح؟..

سكت قليلاً..

رأيت في عينيه الصدمة.. ثم بدأ بالضحك..

ضحكت معه.. وقلت..:

- لقد زانت أخيرًا..

ربما سيأتي الطفل ويأتي معه الخير؟؟ ألا تعتقد ذلك؟ طرحت سؤالي وأنا أحاول أن أعود به إلى الواقع.. أن أعود بعينيه لتثبتا أمامي.. بدلاً من الشرود الذي اكتنفهما..

- بلى. بلى ستزين..

أجاب مع آخر لقمة له في الوجبة..

- بل زانت.. قلتها كمحاولة لاختلاق الأمل...

- زانت.. رد بحنان.. وبابتسامة جميلة..

تعاونّا معًا في تنظيف المنزل.. ثم ودعته..

وعدت نفسي يومها أنني سأجد له حلًّا.. سأخرجه مما هو فيه.. لقد حاولت مساعدته في السابق ولم أنجح لكنني سأحاول الآن بمساعدة خارجية..

سأكلم بدر بأسرع ما يمكن.. وبدلاً من تعلق جواد بالوظائف الميئوس منها وتتبع الأحلام الزائفة وتقمص حياة مشاهير الأفلام.. سيعيش الواقع في حياة كاملة أفضل من الخيال.. حياة ملونة ولامعة..

طبعًا بعد أن يتدبر بدر أمر نفسه ويصلح ما هدم من مستقبله هو الآخر.. وبعد أن أجد مخرجًا لنفسي من الورطات المتتالية أنا الأخرى..

أساعد نفسي أساعد بدر بدر يساعد جواد..

تزين الأمور.

قد يبدو الوضع أشبه بقصة اللفتة الكبيرة لكنها ستنجح

ستزين... والله ستزين...

الفصل الثاني والثلاثون
المقدم أصيل

مصيبة! هل الرائد منذر بهذه السذاجة؟

فكر أصيل.. هل المطلوب منه أن يقوم بكل العمل وحده؟ لو وصل الخبر للعقيد أحمد... لتم إرسالهم جميعًا إلى التحقيق!

كيف يخبره الرائد منذر أن الحمض النووي يعود لسارة؟؟ كيف يفسر النتيجة باجتهاده الشخصي؟

فبمجرد قراءة عابرة لتقرير المعمل الجنائي وجد النتيجة:

"تتشابه العينة من الحمض النووي مع الحمض النووي الخاص بسارة بنسبة 25 في المئة.."

هذا يغير كل شيء..

خرج من مكتبه يتقدم الرائد منذر مطأطئ الرأس.. ألقى نظرة على بدر قبل أن يخرج ولم يلقِ عليه أي كلمة.. لا بد أنه لاحظ التوتر يضرب بأرجاء الغرفة، لكن لا بأس ليس الآن وقتك يا بدر.

بمجرد دخولهما قاعة الاجتماع صرخ في وجه منذر:

- منذر!

ماذا دهاك؟ نحن لا نصدر الأحكام.. هل نسيت ما وظيفتك؟ نحن لا نستنتج.. لقد قلت إنه الدليل الدامغ لوجود الحمض النووي الخاص بسارة تحت أظافر الضحية..

تلعثم منذر... قائلاً..:

- لا أعلم سيدي.. لقد قال لي الطبيب إنه احتمال كبير.. وفي أغلب الحالات.. تكون النسبة كافية..

- وهل ثقتك التي تكلمت بها كانت تدل على أن هناك شكًّا بنسبة واحد في المئة على الأقل؟ لقد جئت تجري كالأطفال قائلاً إن العينة مطابقة لسارة... هل تعد 25 و 100 سِيَّيْنِ في عملنا؟ هل نأخذ برأي من يخبرنا أنه احتمال كبير يا منذر؟

فكر مع نفسه.. إنه يلوم منذر لكنه يجب أن يلوم نفسه..

لقد اعتمد على طريقة الفريق في التحري والتي لا تعد طريقة سيئة أبدًا..

لكن.. كان الأجدر به أن يكون قائدًا جيدًا لهذا الفريق..

يعترف هو كأصيل أنه لا يعرف العمل ضمن منظومة الفريق.. لديه فكره الخاص وأسلوبه الذي يعتمد على خرابيشه التي يتمسك بها.. كان الأجدر به أن يقرأ كل ورقة ويفتح كافة الملفات الإلكترونية بنفسه.. ويتابع كل شيء من منطقة مركزية واحدة.. بفكر واحد..

يعلم أنه خطؤه وليس خطأ منذر.. فمنذر قليل الخبرة.. لكن كيف يفوته هو تفصيل بهذه الأهمية؟ كيف يعتمد على كلام مساعده المرسل.. كيف لم ير الدليل بأم عينه.. بل ويستدعي بدر.. وفقًا لاستنتاج منذر؟

عاد إلى مكتبه وقد وجد وجه بدر أكثر امتقاعًا من قبل.. لم يفكر كثيرًا وقال:

- حسنًا يا سيد بدر.. كان قرارًا حكيمًا ألا نلقي القبض على سارة.. لقد اتضح أن الحمض النووي يرجح ولا يؤكد أن لها علاقة بالجريمة.

- لا أفهم.. سيدي.. هل أستدعي السيد راشد المحامي؟

- لا لا.. لقد استدعيناك بصفة ودية.. ولا يوجد تحقيق رسمي الآن..

أنت محام بدورك أستاذ بدر أو لنقل.. على طريق المحاماة.. لكن دعني أشرح لك ما يجري.. نسبة الحمض النووي يتشابه مع الخاص بسارة بنسبة 20 إلى 40 في المئة فقط..

وكأن مشعلاً أضاء في وجه بدر:

- أتعني سيدي.. أن القاتل قد يكون.....

- نعم.. قريبًا..

صاح بدر:

- والدها؟ والدتها؟؟؟؟؟

نظر المقدم أصيل إلى منذر الذي قال وهو يتحاشى النظر في عيني أصيل:

- لا.. والدتها متوفاة وأساسًا النسبة أقل من أن تكون لأحد الوالدين..

ربما شقيق.. وكما نرى في سجلاتها.. لا تمتلك أشقاء.. إلا إخوة من أبيها وهن ثلاث فتيات أكبرهن في الثانية عشرة.. وأخ في الخامسة من عمره..

بصراحة.. لا نعرف ربما يكون القاتل أحد الأقارب الثانويين لسارة..

في حالات مشابهة عبر التاريخ قد حصل تشابه في الحمض النووي مع مشتبه به وأحد اللقطاء الذين يشتركون مصادفة مع جيناته..

- أخ غير شرعي؟؟ فتح بدر عينيه وكأنه لا يصدق ما يسمع

ضحك المقدم خجلاً من نفسه.. لقد قرأ مثل هذا الاحتمال في قضية حدثت في الغرب.. لكنها مستبعدة.. والنظريات التي تقوم على مصادفات من هذا النوع لا تتكرر كثيرًا..

سادت فترة صمت استمرت دقيقة وبدر يحدق في أصيل، ثم قال ببرود:

- لكنّ لسارة أخًا غير شقيق.. من والدتها...

نعم!!

وقف المقدم.. ثم فتح ملف القضية بقوة.. وصاح:

- منذررررررر!

لكن بدر قاطعه:

صدقني يا سيدي لقد أوصلتها لمنزله أكثر من مرة.. إنه يسكن في مكان متواضع.. تزوجت والدتها بعد انفصالها عن والدها وأنجبت جواد..

صاح أصيل بصوت أعلى وهو ينظر إلى منذر:

- جواد؟

قاطعه منذر وهو ينقل عينيه بين لوحة المفاتيح وشاشة الحاسب:

- سيدي أقسم لك.. لا يوجد أي أثر لاسم جواد في أي مكان.. لا يوجد شخص بهذا الاسم!

نظر أصيل إلى بدر وقال:

- هل أنت واثق من أنه أخوها؟ أعني الرجل الذي تزوره سارة؟

شعر بالندم بعد أن ألقى سؤاله لأنه يشكك في سلوك سارة..

ثم تذكر.. إنه حتمًا أخوها.. فالتحليل يثبت أن هناك صلة قرابة تربطها بأحد ما.. ما هذا الجنون؟ أين جواد هذا.. أم أن له اسمًا آخر.. لعله اسم شهرة...

بعد فترة بحث في سجل والدة سارة.. لم يظهر لمنذر أن لها من الأبناء سوى سارة..

نظر له بدر فهز رأسه بالنفي

أخذ بدر يتأملهما وقد تملكه التعب..

تركاه لفترة في المكتب ينظر إلى (لا شيء).. حتى إنه ممنوع عليه استخدام هاتفه دون إذنهما.. عاد بعدها المقدم مع الرائد منذر ونظرا إليه..

قال المقدم بحذر:

- لقد اجتمعنا بالعقيد أحمد الآن.. ولقد تم البحث كاملاً عن المدعو جواد.. لم تلد سعاد سوى سارة..

ولا وجود لاسم جواد في أي سجل.. حتى زوج سعاد الثاني لم يكن له ابن..

حالة واحدة سجلت لابن متوفًّى داخل بطن سعاد.. وهو الابن الوحيد لذلك الرجل..

نعتذر منك يا بدر.. لكن الأرجح أن سارة مريضة.. ولها صلة بالحدث وربما جواد هذا أيضًا من محض خيالها.. هل رأيته بنفسك؟

شعر بالخجل وقال:

- لا

لكنه لم يستسلم..

- ماذا عن نسبة الحمض النووي؟ لقد قلت الآن إنه يتطابق بنسبة لا تصل إلى 100 في المئة... أليس كذلك؟

- لقد تواصل العقيد أحمد بنفسه مع رئيس المعمل الجنائي الذي وجه أن عينة الحمض النووي قد لا يعتد بها.. فربما لم تكن كافية أو

أن التحليل غير دقيق.. في هذه الحالة.. أقصد في حالة عدم وجود أخ لسارة... النسبة القليلة من التطابق تكون قرينة أو حتى دليلاً ضدها..

لقد عادت سارة إلى دائرة الاتهام..

- هل ستقبضون عليها؟..

رأى أصيل الدمع يسيل على خدي بدر دون أن يحاول إخفاءه..

لقد يئس.. ربما هذه هي النهاية..

قال له المقدم:

- ليس الآن.. سنحاول إصدار المذكرة مع حلول المساء..

الفصل الثالث والثلاثون.
أمام مبنى التحقيق:

لقد بدا كل شيء حقيقيًا..

هل سارة مريضة إلى هذا الحد؟

خرج من مديرية الشرطة وجلس على طرف أحد أصص الزرع المجاورة..

بدأ يرتب.. حكاياتها. كلماتها.. كيف يكون كل ما حكته خيالاً؟

يوجد العشرات ممن يعانون المرض نفسه.. لكنهم يؤدون حياتهم بأكمل وجه.. لقد قرأ وسأل وتحرى وتحقق عن حالتها.. المصابون بهذا الاضطراب غير مؤذين.. مرض الوسواس القهري أمره بسيط.. نسبة بسيطة من موصلات السيروتونين.. ويحل الأمر..

لا بد أن هناك خطأ ما..

فتح هاتفه..

لا يريد مغادرة المبنى.. يجب أن يجد حلًّا.. هل يهاتف سارة؟

أين يذهب؟

لكن ومضة لمعت في رأسه..

.. نعم.. كيف لم تطرأ له هذه الفكرة؟ سارة ليست الوحيدة التي تعرف جواد.. سيسأل عنه في الأماكن التي أوصلها إليها.. سيبحث عن حسابه للتصليح.. ربما أنها لا تتخيل..

وأبوها!!

كيف نسي؟

لقد قالت إن أباها يعرف عنه.. هل يعقل بعد كل هذه التفاصيل المنطقية أن يكون من نسج خيالها؟ أسرع بالاتصال بوالد سارة.. إنه يعرف بوجود جواد..

هل هو أيضًا يتخيل؟؟ هل هو مصاب بمرض الوهم؟

استغرق الأمر أكثر مما ظن..

لم يتم الرد..

ليس وقتك يا عم.. أرجوك..

لا صبر لديه.. يحس أنه سيفقد أعصابه.. سيفقد وعيه..

يريد أن يصل للحقيقة.. يريد أن يثبت براءة سارة..

حسنًا.. لأول مرة سيحاول التواصل مع عفاف.. من أين يبدأ وأين ينتهي معها؟

لم يجد وسيلة للتواصل سوى الإنستجرام..

يجب أن يسرع... من واجبه تجاه سارة أن يساعدها لآخر لحظة قبل أن يصدر أمر اعتقالها.. لا يتصورها مذنبة.. مع كل هذه الثغرات الأصابع دومًا تتجه إليها في النهاية.. لكنها بريئة.. لا يمكن أن يكون مخدوعًا..

أخيرًا بدأ التحقيق:

(عفاف)

ماذا تريد من عمك؟

لماذا لم تتصل بسارة؟

هل سارة بخير؟

أين هي؟..

هل وهل ..

أحس أن الأسئلة لن تنتهي لكن أخيرًا..

أخيرًا أطلقت سراحه وظهر اتصال العم قاسم

***

في ثوان معدودة كان يجري قاطعًا الطريق نحو مكتب المقدم..

دخل كالمجنون ناظرًا إلى أصيل الذي وقف في هلع:

- ما الذي حصل؟

- جواد.. جواد. سيدي إن جواد موجود..

سارة لا تتخيل.. لقد أكد لي والدها الآن أنه موجود..

- هل رآه بعينه؟

- نعم.. نعم.. القصة معروفة.. سيأتي والد سارة ليؤكد لك ذلك الآن.. إنه يقول إن جواد غير مسجل في الأوراق الرسمية.. لم يسجله أبوه قط..

- نعم؟!! غير مسجل؟ كم عمره؟

في أوائل العشرينيات..

عبس أصيل في وجه بدر.. وسكت لفترة طويلة.. أخذ يحدث نفسه:

- مستحيل.. غير مسجل؟ كيف عاش؟ كيف درس؟ كيف تعالج؟ كيف أكل وشرب؟

- لا أعرف حقيقة

لقد تذكرت.. رأيت صورته أنا أيضًا..

- هل لك أن تريني الصورة؟

- لا.. ليست لديّ صورة.. لكنني شاهدت له صورة معها ونحن.. أعني ... في إحم.. في أول مرة التقيتها يوم حادثة غرفة الأرشيف..

- أكانت تلك أول مرة ترى فيها سارة؟

طأطأ رأسه واعترف:

- نعم يا سيدي. لقد قلت هذا في التحقيق الأولي.. لكن... تراجعت بعدها لغرض التصديق على..

- على ماذا؟

أثارت كلمات بدر حنقه.. إنهم يلعبون في تحقيق رسمي..

- من أجل التصديق على ادعاء سارة.. لكنني لم أكن أعرف لماذا كانت هناك في المقام الأول.. ولماذا باغتتني..

لكنها.. صدقني.. قد يكون هو من أرسلها هناك.. لكنها غير متواطئة معه.. أقسم لك إنها لم تكن تعرف بموضوع الجثة التي سقطت علينا.. سارة أضعف من أن ترتكب جريمة.. إنها تشعر بالذنب إذا أحست أنها أكثرت الطلب على نادل المطعم.. كيف تظنها تتواطأ من أجل جريمة؟..

سكت بدر قليلاً ثم صاح:

- سيدي.. عرفت.. إنه جواد.. جواد الذي له القدرة على العبث بهاتف سارة.. فقد أخبرتني أنه مجنون إنترنت.. داهية.. يعيش على عمله في البرمجة والإلكترونيات.. يصلح كل شيء من الخلاط وحتى السيارة.. مرورًا بالحواسيب..

كما يقولون بارع في الـ hardware and software

حسابه على وسائل التواصل موجود.. لقد أرتني إياه سارة.. انظر لقد أضفته في قائمتي>> صورة ملفه التعريفية.. هي صورة لشخصية كرتونية..

حضر والد سارة وأكد جميع ما قاله بدر:

- نعم يا سيدي.. سعاد.. كان لها ابن من زوجها الآخر.. لا أعلم كثيرًا من أحوالها لأنني لم أكن أريد أن تكون لي علاقة بتلك العائلة..

لكنني أعرف أنها تزوجت بذلك البائس السيئ السمعة وأنجبت هذا الولد.. لقد سمعت من أحد الأقارب.. أنه لم يثبت الطفل بشهادة ميلاد.. ولم يرتد يومًا المدرسة..

عاش الولد في العشوائيات مع والده..

وعندما كبر أراد التواصل مع ابنتي.. في البداية لم أر مانعًا.. لكنني عدت وخفت على ابنتي من تلك البيئة.. أي تربية تلقاها هذا الولد الذي نشأ وسط ذلك المجتمع؟..

شعر بدر بالخوف أكثر من وصف والد سارة.. لقد تركها تذهب إليه.. لقد أخذها إليه بنفسه.

أخذ عقل أصيل يعمل بسرعة..

الأفكار تبدو كثيرة ومتداخلة لكنها معلومات مفيدة لأصيل.. سيحاول تجميع ما عرفه:

جواد

إنترنت.. هواتف..

صلة قرابة..

الغرض..

ما الغرض.. ما الدافع.. ما العلاقة؟

سكت قليلاً ونقر على المكتب بطرف قلمه... هناك شيء يربط بين الثلاثة، زينب، سارة، جواد.. وبما أن سارة وجواد أخوان.. فالمشترك بينهما هي الأم.. سأل:

- سارة.. هي مصابة بمرض نفسي.. صحيح.. أليس كذلك؟

أجاب بدر..:

- بلى إنها الأفكار الوسواسية لكنها ليست الفاعلة إنها فقط

تتخيل.. إن الطبيب لم يذكر أنها خطر على الآخرين. إن حالتها لا تعني أنها.. لديّ تقرير بحالتها في هاتفي...

- اسمع سيد بدر... بعد الدردشة مع العم قاسم.. أريدك الآن أن تخبرني كل شيء تعرفه عن سارة وجواد وعن والدتهما.. كيف تربيا؟ كيف كانت والدتهما؟ أي معلومة حكتها لك سارة من وجهة نظرها..

- لقد أخبرتني سارة أن والدتها كانت مصابة بمس (أي ممسوسة باللغة الدارجة) ولكن اتضح فيما بعد أنها مصابة بمرض نفسي لا أعرف ما هو.. اكتئاب أو فصام لا أعرف.. تعرف أنه قبل 20 أو 30 سنة لم يعترف كثيرون بالأمراض النفسية.. لم يتم تشخيص الوالدة وقتها.. لكن هذا كان استنتاج سارة.. لقد انفصلت والدة سارة عن أبيها ثم تزوجت والد جواد.. لكنها هربت من المنزل عندما كان جواد صغيرًا بعد ما اشتعلت معركة كبيرة بينها وبين زوجها تضمنت الضرب والسباب.. هربت أثناء حملها ثم توفيت بعد فترة بسيطة.. وهي لم تضع طفلها بعد.. لقد عرفت سارة أن والدتها متوفاة مؤخرًا..

سكت المقدم ثم رفع حاجبيه:

- مرض سارة ومرض والدتها.. هذا يعني أنه من غير المستبعد أن يكون جواد مصابًا أيضًا باضطراب ما؟

سكت وفكر..

لقد كانت زينب حاملًا؟

هل هذه مصادفة؟ اسمع سيد بدر.. سوف نعيد مشاهدة تسجيلات كاميرات المراقبة لنرى إن كان جواد حاضرًا في البناية. أنت تعرف شكله من الصورة كما قلت.. هل تستطيع تمييزه؟

أعتذر منك.. أعرف أن مدة اللقاء طالت أكثر من اللازم لكننا نحرز تقدمًا أكثر مما توقعنا

قال بدر مجاملاً وقد أنهكه التفكير وكأنه يصادق على كلام أصيل:

- لا أبدًا.. أنا في الخدمة.. ما يميز مظهر جواد الطول والعرض.. يبدو كأنه ثلاثيني على أقل تقدير..

- سنطلب منك أن تأتي معنا للغرفة الأخرى لنراجع المادة.. هل لديك مواعيد مهمة للحاق بها؟

أطلق له ضحكة مستهزئة وقال في إحراج:

- أبدًا معك عاطل مستجد.. ومشوه السمعة..

ابتسم له المقدم أصيل.. لو كان ذهنه صافيًا.. والظروف سانحة لكان بدر مشروع صديق محتمل..

لكن.. ليس وقت الضحك الآن..

مضت ساعة وهم يبحثون بين رؤوس البشر المارين عبر الشارع وفي الطرقات.. بدا الموضوع معقدًا ومستحيلاً.. لم يبدُ بدر واثقًا من أي شيء.. وكل شخص طويل يمر.. ينظر إليه بدر بريبة.. ثم ينهي تفكيره بعبارة:

- لا أظن..

نظر المقدم إلى بدر بعد أن رأى الفريق على الشاشة روتين بدر المتكرر كل صباح.. وهو يعدل هندامه أمام مرآة مدخل المبنى.. مرة يحمل أطنانًا من علب الفطائر ومرة يحمل علبًا من أطباق الإفطار والقهوة.. قال بدر وهو يحك رأسه:

- أحيانًا أحب أن أشارك زملائي الإفطار..

فكر المقدم..: دائمًا تقودنا التحقيقات إلى معرفة تفاصيل أصيلة للأشخاص.. فبعض الأمور الصغيرة كأن يكون بدر كريمًا مع زملائه بهذا القدر.. قد لا نكتشفها في الظروف العادية أحيانًا..

توقف الحديث عندما تسمر بدر وطلب من المشغل إعادة المقطع..

ظهر على الشاشة مجموعة شبان يحملون الملفات.. ويقفون في الشمس ...

قال المقدم:

- لقد بحثنا من قبل في مجموعات المتقدمين للوظائف.. هل ترى أحدًا معينًا؟

- نعم.. أظنه هذا..

- هل أنت واثق؟

تمام الثقة!

الفصل الرابع والثلاثون:

بدر:

لم يعلم لماذا شعر بكل هذا الخوف عندما رأى رأس جواد يظهر من بين المجموعة..

ظن أنه لن يتمكن من معرفته..

لطالما شعر بهذا الشيء تجاه جواد من مجرد ذكر اسمه.. إحساس غامض لا يعرف شرحه..

شعر بخشية أن يكون أخطأ في التمييز، لكن كلما تقدم فريق البحث الجنائي وهو يتتبع سير جواد على الكاميرات

تيقن أنه هو..

لقد طمأنه المقدم أصيل بأنه لن يتركه يذهب إلى بيته حتى يتم حسم الأمر..

فرح أنه يساهم في حل القضية أخيرًا.. وأن أصابع الاتهام قد ابتعدت عن سارة.. لكنه أيضًا شعر بالتعب المطلق..

أخيرًا قال له المقدم:

- حسنًا.. لقد تتبعنا جواد في جميع الأروقة.. وجميع المرافق.. ويبدو أننا نحرز تقدمًا آخر..

لقد ظهر لنا كل شيء..

انظر:

أشار إلى صورة معينة..

- هنا.. هل تراه؟ لقد التفت إلى المجني عليها في أكثر من موضع..

هنا التفت باتجاه زينب وأطال النظر.. لقد استمرت مدة وجوده في المبنى قبل المقابلة طوال ثلاث ساعات.. في كل مرة تمر زينب يطيل النظر إليها..

نظر إليه بدر.. حسنًا.. لقد اقتربنا.. فرح كثيرًا لكن لم يكن يعلم أن الكاميرات ستقدم لهم المزيد..

فجّر أخيرًا الرائد منذر القنبلة:

- وهنا يوم الحادثة.. ها قد ظهر جواد مرة أخرى دون أن يكون له مبرر.. وتجول كثيرًا.. لعله كان يدرس المكان..

قد يكون قدم لأجل زينب..

- أتعني أنه قتلها في المبنى؟..

لا أظن...

لقد خرجت المسكينة يومها ولم تعد بعدها..

يبدو أنه انتظرها في الخارج ثم قتلها هناك....

- ولماذا أعادها جثة؟

- هذا ما لم أفهمه..

ظهر مقطع آخر يوم حادثة الأرشيف.. بعد يومين من اختفاء زينب.

في هذا المقطع.. تدخل سارة متلفتة وهي تنظر إلى هاتفها.. تتلفت وتنزل إلى غرفة الأرشيف. والباقي جميعنا نعرفه..

سكتا مرة أخرى لبرهة ثم قال المقدم:

- نظريتي هي..

جواد هو القاتل.. وقد أراد توريط سارة.. وأنها ذهبت إلى هناك بناء على طلبه..

لم أقنعها وكيف؟

لا نعلم..

لماذا يريد أن يورطها؟ فعلى حسب كلامك.. هي تعده العائلة الوحيدة لها.. وبالنسبة له لا يوجد له عائلة غيرها..

تقدم أحد الملازمين هامسًا بشيء في أذن الرائد منذر فضاح مستبشرًا..:

- سيدي لقد ذهبت لجنة تحقيق وتحرت مستعملة صورة جواد.. وشهد أحد منظفي السيارات من الساحة الخلفية أنه رأى جوادًا يحمل كيسًا أسود يوم الحادث متوجهًا إلى باب الخدمات..

قال المقدم بحزم:

- يجب أن نستجوب سارة لنستفهم عن سبب وجودها الحقيقي في المبنى ذلك اليوم.. لو لم تتجاوب معنا فهذا يعني أنها متواطئة معه.

قال بدر وهو لا يفهم:

- لكن لماذا لا تلقون القبض عليه.. أعني جواد؟

- لا وجود له في السجلات الرسمية.. يجب أن نحصل على بعض الموافقات.. والمعلومات عن عنوانه مثلاً.. لذا يجب أن نسمع من سارة أولاً.. ونتحقق من أنها لا علاقة لها بالجريمة..

- لكن سيدي تلاعبه في هاتفها يظهر حسن نيتها.

- هذا غير مثبت.. فربما كانت الرسائل تصل من هاتفها مباشرة وربما كان الوغد متمرسًا ولديه طريقة في اللعب في هاتفها لا نعرفها.. لكننا لا نستطيع التعويل على هذه النظرية حتى نتحقق منها..

لا تخبرها ولكن أبق عينيك عليها.. لا تجعلها تتواصل معه أبدًا.. ونحن سنستدعيها قريبًا للتحقيق في أمر أخيها..

أفهمت؟ دعنا نتحقق إلى أي مدًى تورطت في الجريمة.. هل استخدمها كوسيلة..

أو.. أنه أراد توريطها في المقام الأول؟

***

أخيرًا تم إطلاق سراحه، أخيرًا سينام وسينعم بالراحة.. تساءل هل سيتمكن من النوم مع كل تلك المهام الموكلة إليه؟ كيف سيبدأ باستجواب سارة؟ كيف سيعرف سبب وجودها في الغرفة تلك الليلة وسبب رفضها الإفصاح عن السبب؟

كما أن عليه أن يثبت عدم تورطها..

هو متيقن أن لا علاقة لها.. لكنه خائف.. لا يريد مزيدًا من المفاجآت..

أسئلة كثيرة وخوف من المجهول تتملكه..

حاول الاتصال على سارة أثناء قيادته.. يجب أن يطمئن عليها..

كيف يقنعها بالحذر من جواد دون الإفصاح عن شيء؟

لماذا يفعل جواد هذا بها؟

هل ما استنتجه المقدم أصيل صحيح؟ ربما يتضح خطأ ما يخرج سارة وجواد من دائرة الاتهام من الأساس.. ربما ارتكب منذر خطأ جديدًا..

أعاد الاتصال مرة أخرى.. فأجابت أخيرًا..

ابتسم ابتسامة ارتياح لكن ما لبثت تلك الابتسامة أن تجمدت على وجهه..

قرقعة.. صرخة حادة.. سارة تصيح..

- بدر.. النجدة إنه جواااد.. الأرشيف.. أنجدني!.....

ثم صمت مطبق... وانقطاع للخط..

الفصل الخامس والثلاثون:

سارة:

لأول مرة يدعوني جواد لتناول القهوة خارجًا.. بدا مرتبكًا وهو يطلب مني الخروج لأول مرة.. طلبت منه من قبل مرات كثيرة.. لكنه كان يفضل اللقاء في المنزل.. أو في الحديقة العامة القريبة من الحي..

ترى ما هو هذا الخبر السعيد الذي يريد إخباري به؟

من حماستي لهذه الدعوة لم أتناول قهوتي الصباحية..

فهذه القهوة المقدمة من جواد يجب أن أرتشفها بكل حواسي..

لقد زانت.. من المؤكد أن أوراقه الثبوتية اكتملت ... بدوني.. المرة السابقة أخبرني أنه استخرج شهادة ميلاده.. ولم يبق له الكثير..

حاولت مساعدته عن طريق والدي.. حاولت التواصل مع الجهات المختصة.. لكنني لم أعد عليه بالنفع.. وفي المرة الوحيدة التي كدت أرتكب فيها جريمة سرقة من أجله.. فشلت أيضًا..

لا أصدق أنني كنت على وشك سرقة ورقة تثبت هويته من أرشيف الشركة...

قد تكون الحسنة الوحيدة لمقتل زينب أنني لم أقدم على عمل أندم عليه طوال حياتي..

تذكرت حوارنا ذلك اليوم الذي أقنعني فيه بالذهاب لغرفة الأرشيف:

- جواد: أرجوك يجب أن تفعلي ما أطلبه منك لأجلي.. فقط اذهبي لغرفة الأرشيف في الطابق تحت الأرضي وسأرشدك أين تجدين الورقة.

- لكن هذا صعب.. والله إنه صعب.. ماذا لو اكتشف أحد وجودي؟ هل الورقة مهمة لهذا الحد؟.. ألا تستطيع أن تحصل عليها بطريقة نظامية؟

- للأسف: لدي مشكلات مع الموظف وهو يعرقل لي المعاملة.. أرجوك اذهبي.. لا بأس لن يكتشف أحد هذا.. أنت بريئة وليست لك سوابق.. وسيظنونك جميعهم مجرد عميلة..

تنهدت لتسارع الأحداث التي حصلت جراء هذه الخدمة التي لم تتم..

لكن الآن.. لا بد من أن الأمور في تحسن.. أحمد ربي أن أمور جواد ستتحسن في نهاية المطاف..

تخيلت المفاجأة التي حضرها لي.. إنه يكثر من مشاهدة الأفلام.. ربما سيحتفل بي لأنه حصل على وظيفة ما؟

أو ربما يحتفل بي بمناسبة حملي..

لقد تفاجأ عندما أخبرته ذلك اليوم بحملي..

اقترحت أن أستخدم سيارتي أو أن يقلني بدر إلى المكان الذي

سنلتقي فيه لكنه أصر على المرور بي بسيارته.. لم أشأ أن أرفض حتى لا أجرح شعوره تجاه سيارته التي يستعيرها من العامل في المتجر المجاور..

لكن لا بأس.. سيستبدل بها سيارة أفضل منها قريبًا..

أنا أعلم!!

لدي إحساس كبير بأننا سنصبح عائلة سعيدة.. سيتزوج ويرزق بأطفال يلعبون مع أطفالي.. وسنتزاور في الأعياد.. وسيغدق على أبنائي بالعيديات.. سأتجاهل منظر السيارة التي ستصبح قريبًا من الماضي..

رائحة سجائر مكتومة صادرة من المقاعد وبقعة كبيرة مغطاة بغبار قديم على المقعد بجانب السائق..

حتى حزام الأمان مغطًّى برذاذ جاف من البقع المتنوعة..

بقايا بذور بطيخ منتشرة هنا وهناك.. أو ربما كان شمامًا..

أما المقاعد الخلفية.. فـ (الكراكيب) فيها لا تعد ولا تحصى..

كنت في كل مرة أزوره أحرص على ترتيب منزله وتنظيفه.. أما فيما يتعلق بتنظيف سيارته أو سيارة صديقه فالموضوع صعب..

لكن لا بأس.. سأعقم يدي قبل تناول القهوة..

اعتدلت على المقعد وقلت وأنا أربط الحزام:

- يوجد مقهًى جديد على الطريق الدائري.. لم لا نجربه؟

سكت ثم قال..:

- لا.. لديّ مكان آخر نقصده..

لمت نفسي.. فربما ما اقترحته يفوق ميزانيته.. أحاول أن أكون دائمًا حريصة وحساسة تجاهه لكنني أحيانًا أفشل.

تحركنا وأنا أحكي بلا انقطاع.. أعرف أن الأدوية بعد استقرار جرعتها قد تعطيني إحساسًا بالبهجة المتواصلة لذا أرى أحيانًا استغراب بعض الناس من تفاؤلي وإقبالي على الحياة بشكل مبالغ فيه..

لكنني لست هنا الآن من أجل الحديث عن نفسي..

بدأت بالحديث عنه.. وعن أفضل الجامعات التي قد تناسب ميوله.. ذكرت له أنه من المؤكد أنه في حالته سيتم التجاوز عن شهادات المدرسة.. أو ربما يستطيع أن يلتحق على الأقل بالثانوية...

يستطيع أن يعمل ويدرس معًا.. ففي أسوأ أحواله استطاع جواد التعايش والعيش..

فكيف عندما يصبح مواطنًا مثبتًا معترفًا به؟..

حتمًا سيجد عملاً وسيوفق بينه وبين الدراسة.. ويستطيع أيضًا السفر والدراسة في الخارج..

ما زال صغيرًا.. والعالم هو محارته كما يقول الأجانب..

أعرف أن الكآبة التي تجتاحه من آن لآخر ليست إلا مؤقتة بسبب وضعه.. لكن القادم أجمل..

اقتربنا من الشارع المؤدي.... للمؤسسة!..

ارتفعت دقات قلبي وتذكرت الحادثة.. والجريمة والجثة..

الفترة الأخيرة تجنبت الحديث عنها مع جواد.. وكأنني عندما لا أذكرها تختفي..

قلت بعد صمت قصير (من ضمن الأعراض الجانبية للدواء الاندفاع أحيانًا في الحديث):

- تلك الورقة..

- أي ورقة؟ سأل جواد وهو ينظر إلى الطريق:

- الورقة التي ذهبت لغرفة الأرشيف لإحضارها لك.. هل حصلت عليها؟

لم يرد..

توقفت السيارة عند الباب الخلفي من المبنى.. أشرت له إلى الباحة الخلفية وقلت:

- هل ترى تلك الساحة؟ هنا وجدنا الساق.....

- تعالي سأريك شيئًا..

بدأت أتوجس إذ لم يعد يبدو أن الغرض من دعوته لي هو تناول القهوة...

يبدو أنه يريد حقًّا تلك الورقة..

قلت له:

- أرجوك يا جواد.. لقد فتحت لي تلك الورقة بابًا لم يقفل من المصائب.. هل هي حقًّا مهمة لهذا الحد؟ ألم تحل مشكلتك بعد؟

لقد أصبحت تلك الغرفة مسرح جريمة.. هل تعي ذلك يا جواد؟

- اسمعي أريد أن أريك شيئًا..

جرني خلفه كالطفلة..

لماذا يأخذني من الباب الخلفي؟

صمت قليلاً ثم أشار إلى باب أصغر من باب الخدمات..

- هنا.. أشار بإصبعه..

لم أتحرك من مكاني.. قلت له وأنا أحاول تهدئته:

- جواد.. عزيزي.. لقد حاولنا المرة السابقة أن نحصل على الورقة بطريق غير نظامي ولم نفلح..

وقد كان حظنا سيئًا لدرجة أن جثة قد سقطت فوق رأسي .. من يعلم ما الذي ينتظرنا الآن؟

كما أن..

أحسست بالذنب وأنا أعترف له بأنني خائفة على نفسي..

كيف أحنث بوعدي بأن أكون له الأم التي فقدها في صغره.. أوَلو كنت حقًا والدته.. فهل كنت لأفكر في نفسي بدلاً منه؟..

لكن .. الآن .. لا أستطيع التفكير..

كيف يخاطر بي.. ألا يخاف عليّ كما أخاف عليه؟

صرخت بتوتر من تشويش فكري الذي سيطر عليّ:

- جواد.. هل لديك خطة؟ ماذا أنت فاعل.. هل الورقة مهمة لهذه الدرجة؟

وجدت نفسي أُدفع قبله إلى داخل الباب الصغير:

تمتمت بلوم:

- عنيد..

للحظات لم أعِ ما يدور لكن تدافعت خطواتي إلى الأمام.. لم يدع لي فرصة لأفكر.. بدأ الطريق يبدو مظلمًا وبدأ يتحول لخندق..

تراجعت للوراء.. وصرخت.. يجب على هذا الهراء أن يتوقف..

هل سأستسلم إلى شاب طائش لا يعي ما يفعل؟

- جواد.. توقف لو سمحت.. سأخرج من هنا.. آسفة..

لكن..

قبضة يد قوية أمسكت بذراعي.. ودفعة مفاجئة أسقطت على عيني غمامة..

تتالت الدفعات حتى وجدت نفسي أدفع داخل فتحة صغيرة.. صرخت مجددًا في ذهول:

- جواد!! هل جننت؟.. جواد.. يكفي.. دعني..

لم يتكلم بل استمر بدفعي نحو منطقة لا أعرف ما هي.. ضيقة حديدية.. وجدت مصباحًا يشتعل وشهقت لما رأيت..

أكره الأماكن الضيقة.. لاا ..

أحسست بالاختناق وبدأت أفرفر.. تذكرت صراخي يوم رأيت الجثة.. وتملكني الشعور نفسه.. لكنني فوجئت بوكزة قوية في وسط ظهري..

أجفلت وأنا ألتفت.. هل ضربني جواد للتو؟

- جواد.. ماذا تريد؟!.. صرخت... للمرة العاشرة..

سمعته يتمتم وهو يدفعني..

إنه يعرف الطريق

ما الذي يقوله؟

- ستنتفخ بطنك..

- ماذا؟!!!

- لا أريد أن تنتفخ بطنك..

ماذا يقول؟

كرر:

- ستنتفخ بطنك.. يجب أن ترحلي..

كما رحلتْ..

أخيرًا وجدته يسحبني ويرفع جسدي إلى الأعلى وبدأنا نصعد إلى شبكة أخرى من الممرات الضيقة..

فتح مربعًا بجانبه وأشار لي..:

- هنا...

هنا ستموتين.. كما ماتت..

الفصل الخامس والثلاثون:
المقدم أصيل:

كان المقدم على وشك الخروج.. لقد كان يومًا طويلاً..

يتمنى أن تنتهي إجراءات القبض على جواد هذا مع أن الموضوع صعب بدون إثبات لكن.. سيتم..

توجه إلى المواقف وبدأ يرتب جدول يومه..

هل يأخذ عائلته إلى المطعم لتناول العشاء؟ أم يجهز لهم رحلة مرتبة في نهاية الأسبوع..

الأمور إلى انفراج والقضية على وشك الانتهاء..

فليكن المطعم اليوم والرحلة نهاية الأسبوع..

اتصل على هدى.. وطلب منها حجز طاولة لهم في أي مطعم من اختيارهم.. ودعا الله ألا يختار الأطفال مطعم البرجر الذي يعاود نادلوه الاحتفال بأعياد الميلاد كل خمس دقائق.

لكنه رأى من بعيد سيارة متوجهة بسرعة..

عرفها على الفور..

بدر!!

صاح بدر خارجًا من السيارة دون أن يقفل بابها:

- حضرة المقدم.. لقد اختطفها.. اختطف سارة..

- جواد؟؟

صاح المقدم..

- نعم جواد.. ماذا كنتم تنتظرون؟ لقد عرفتم الحقيقة ومع هذا بدوتم لي متقاعسين.. بالانتظارات.. الآن هي في خطر.. هل أنتم سعداء الآن؟

- هل نسيت نفسك؟!

صاح المقدم..

إنه يقدر حالة انفعاله.. لكنه لن يسمح له بالتجاوز.. أي نوع من المحامين هو؟ ألا يعرف إجراءات الضبط والإحضار.. ألا يعرف صعوبة التحرك في وسط هذه العراقيل؟..

جريمة تم اكتشاف معظم نقاطها عن طريق القرائن..

لا يوجد لديهم الحمض النووي الخاص بجواد..

لا يوجد مكان للجريمة.

لا توجد أداة للجريمة..

لا توجد بصمات لجواد..

لا وجود لجواد أصلاً..

لو كان بدر مواطنًا عاديًا فقد يكون مقبولاً منه التململ والتفاجؤ..

ولكن ألا يفترض به أن يكون أكثر وعيًا؟

- هل تعرف عنوان جواد؟..

- نعم.. لقد أوصلتها إلى هناك أكثر من مرة..

طلب من قوات الدعم أن تتوجه إلى العنوان.. وأخذ معه بدر في سيارته..

لعنه ألف مرة ... هذا المتوتر الغبي..

يريد منه تركيزًا.. يريد منه مهمة أكبر.. لكن للأسف بدر ليس الرائد منذر.

فتح جهازه الهواوي وبدأ بالنداء..

- نريد تتبع هاتف سارة الآن.. والتوجه للعنوان التالي.. هناك احتمال أن المختطف مختل عقليًا.. من المحتمل أن يؤذيها.

- إنها حامل.. قال بدر بطريقة متوسلة..

ثم أضاف:

- أعرف أن الموضوع قد حصل بسرعة.. كما أنها لا تعرف أنني أعرف..

نظر إليه مطولاً.. هذا ما كان ينقصنا..

وعاد ونظر لبدر بجمود:

- لست هنا لأطلق أحكامًا شخصية..

أدرك أصيل أكثر مدى صعوبة التعاون مع مدني لا يختص بالمباحث الجنائية..

أخذ يتحدث في الهاتف النقال:

- يجب تجهيز سيارة إسعاف.. السيدة المختطفة حامل..

بدأ يسرع في الطرقات.. وطرقت رأسه فكرة..

ليته يستطيع إحضار دفتره المهترئ..

إنه يجد أداة ربط..

زينب حامل.. وسارة حامل.. وبدر ذكر أن والدة جواد عندما اختفت كانت حاملًا.. هل هذا هو الجواب؟؟؟ هل هذا هو الدافع؟

وصلا إلى المنزل الشعبي المتواضع..

نظر المقدم أصيل إلى المنطقة العشوائية. ثم وجه نظرة خاطفة إلى بدر..

قال بدر معتذرًا:

- المعذرة.. أعرف أن المنطقة ليست مشرفة.. لكنني كنت أحترم في سارة حبها الجم لجواد..

بدأ المقدم أصيل يشعر باليأس من أن يقنعه بأنه ليس في مقام يخوله الحكم على الأشخاص.. لقد رأى مئات الأماكن.. آلاف البيوت المشابهة وغير المشابهة.. ولا فرق لديه في أن يسكن المجرم في قصر أو في عش دجاج..

هل يشعر بدر بالحرج كون زوجته مرتبطة بهذا المكان؟

وصلت القوات.. وأشار أحد المارة إلى البابْ.. أخيرًا وصل الرائد منذر..

استراح المقدم أصيل.. أخيرًا..

لم يستجب أحد للطرق والقرع على الباب الحديدي..

تجمعت عصبة أطفال ورجال يتساءلون ويتهامسون عما يجري:

تكوَّن حائط سد من الجنود فرقوا الجموع وأبعدوهم عن الباب..

تقدم منذر قائلاً لأصيل:

- لقد تم إصدار مذكرة اعتقال جواد ولله الحمد..

حينها دفع أصيل الباب بقوة وساعده بقية الجنود ليقتحموا المكان أخيرًا.. تلفت بدز يمنة ويسرة ولم يعرف مكانه من الإعراب.. لكنه فضل الوقوف خارجًا..

دخل أصيل وبجانبه منذر.. وتلفتا في أرجاء المكان، صالة متوسطة يغطيها السيراميك المائل للأصفر.. يمتد فوقها سجاد بلون عودي ذكره بذلك الذي يفرش في جلسات تقديم الأسماك المحلية.. جدار أبيض تتخلله مواسير خارجية وأسلاك ممتدة بشكل عشوائي. ومروحة في السقف المشقق..

في أحد أطراف الصالة وجد مغسلة فوقها عبوة صابون ملابس بر تقالية صغيرة لا بد أنه يستخدمها لغسيل يده..

لم يكن هناك أي مقاعد أو كراسيَّ.. بل كيس قمامة مفتوح تظهر داخله بقايا وجبات الطعام.. وصينية براد شاي جف محتوى أكوابها.. والجانب الأيمن من المنزل يبدو أنه المطبخ..

منزل أعزب بامتياز!

أشار لفريق البحث بالتوجه نحو الباب الوحيد في الشقة..

حاول دفع الباب لكن لم يفتح بالكامل نظرًا لوجود السرير خلفه.. رائحة الغرفة لم تكن جيدة.. ليست سيئة ولكنها تذكرك ببقايا جلد ميت وإفرازات بشرية على ملاءات السرير. تعاقبت عليها الشهور.

شاهد جهاز الحاسب المكتبي في أحد الأركان ومجموعة حواسيب محمولة.. حسنًا.. هنا يبدأ اللعب الجاد!

حاول حشر نفسه في الغرفة بين السرير وبقية (الكراكيب).. ركل دون قصد علبة معدنية فانسكب ما بداخلها.. بدأ الفريق الجنائي بعملهم في أخذ ما يلزم من عينات.. وبصمات..

صرخ أحد العناصر من الخارج:

- سيدي..

في الوقت نفسه الذي انحنى فيه المقدم ليرى بحذر ما تحت السرير..

بمصباحه الصغير استطاع رؤية ما كان معبأ في قارورة كبيرة نسبيًا تمامًا مثل قارورة المخلل بالحجم العائلي..

لم يرد على النداء.. أصلح قفازه ومد يده ليسحب القارورة ويمسكها بيديه..

ووقف ينظر بعد أن استقام بصعوبة في ذلك الحيز الضيق بطوله الفارع..

- يا إلهي!.. صاح منذر..

- هل هذه قطة ميتة؟

أخيرًا دخل صاحب النداء يستعجله..

- سيدي يجب أن ترى ما بالحمام...

لا أحتاج أن أرى.. فكر في نفسه.. لقد اتضحت أشياء كثيرة الفتى.. غريب الأطوار حقًّا...

يجب أن نجد سارة وذلك المخبول الآن...

فكل شيء أصبح واضحًا..

الفصل السادس والثلاثون

بدر

خرج أصيل ومنذر معًا وقد بدأ الفريق الجنائي بوضع أشرطة الأمن الصفراء المعروفة.. هل عثرا عليهما؟ أين سارة؟

قال المقدم لبدر وكأنه تذكر وجوده:

- لقد تتبعنا هاتف سارة.. إنها في المؤسسة.. هناك..

ردد بدر ببلاهة:

- المؤسسة؟..

- على الأرجح في غرفة الأرشيف..

قال بدر..: نعم.. لقد رددت سارة كلمة غرفة الأرشيف في مكالمتها المستنجدة.

نظر إليه أصيل بنظرة ذات مغنًى ثم أشاح عنه..

أكمل المقدم حديثه في الجهاز، وبدأت سيارات الشرطة تتوافد..

لم يعرف بدر أين يذهب فهو لا يمتلك سيارته..

لكن المقدم سحبه معه متوجهًا للسيارة..

- سنذهب إلى هناك.. لقد أمرتهم بالتروي.. فجواد..

ثم سكت برهة يحاود إيجاد تعبير مناسب:

- جواد ليس سويًّا....

حينها رأى بدر أمامه كل شيء.. رأى أشياء لا ينبغي له أن يفكر فيها..

رأى سارة مذبوحة.. رآها مقطعة مثل زينب.. تصور قدميها الناعمتين مبتورتين داخل حقيبة.. بطنها مبقورة..

تذكر الرسائل التي كادت تقودها للجنون.. سمع أيضًا صرخاتها تخرق أذنه.. فكر في الطفل القادم في الطريق.. فكر في جريمة قتل.. فكر في الاختطاف..

ثقلت كل الأفكار في رأسه لم يجد نفسه إلا وقد دخل في نوبة بكاء حارة..

- قبل أن يدخل المقدم السيارة قال لبدر وهو يهزه:

- بدر.. استجمع قواك يا رجل.. هل أحضرت معي أختي الصغيرة؟

أنت الآن في موقف لا يتطلب منك سوى أن تكون شجاعًا..

أهكذا تدافع عن أهل بيتك؟؟

إن سارة قضية بالنسبة لي.. لكنها لك شيء أكبر من ذلك.. لقد هيأك الله لها لتنقذها.. فهل ستختار الطريق الأضعف؟ أم ستسلك في سبيلها أكثر الطرق شراسة؟

أمسك به ودفعه إلى السيارة

فكر بدر..: هل أنا أحلم؟ هل قتلها جواد؟ لقد سمع بأشياء كثيرة موجودة في الحمام.. بقايا دماء.. أشلاء بشرية وحيوانية.. .. قطط مقطعة..

بدأ بالضرب على فخذيه من قلة الحيلة لكن المقدم صرخ:

- بدر! انظر إلي.. دافع عن زوجتك يا رجل.. قم بحماية ابنك.. توقف عن الندب كالولايا.. اصنع أسرة.. انتشل تلك المسكينة من تبعات الماضي ومخاطر الحاضر.. تلك الضحية التي ضحكت لها الدنيا بقدومك..

كن رجلاً يستحقها..

مسح دموعه خارجيًا.. لكن كلام المقدم قد لامس جزءًا من فكره.. فتحول بسرعة كل ذلك الخوف إلى غضب..

ذلك الوغد.. نتاج العفن الاجتماعي.. والعنف والذل.. يريد لكل الناس أن يكونوا مثله.. بلا وجود.. كائن طفيلي أو نبتة شيطانية تؤذي من حولها.. وتنفث السم فيمن يلمسها..

إنه كلب عديم المروءة. عض أول يد تمتد له.. بل اليد الوحيدة التي عطفت عليه:

- ذلك النكرة.. الخنزير.. لن أتركها له..

حاول الاتصال بها بيأس.. يعرف أنها لن ترد.. في المكالمة الأخيرة بدا صوتها مكتومًا وقارعًا كأنها في مكان خال..

ذكر جميع هذه المعلومات للمقدم.. توقع أنه يطمئنه بمزيد من

التحليلات الذكية.. لكن يبدو أنه أزعج أصيل بها.. لأنه صرخ فيه موبخًا:

- بدر أرجوك.. هل تحسبني ساحرًا؟ إن لذكائي وقدرتي حدًّا.. لا أستطيع الإجابة عن أسئلتك التفصيلية... اصمت قليلاً.. ودعنا نؤدِّ عملنا..

استقر مجددًا على المقعد وفكر..: هل الطريق طويل دائمًا هكذا؟

أعاد محاولة الاتصال بها مرة أخرى..

وتسمر على مقعده وهو يشاهد ناصية الطريق المؤدي إلى البناية الشاهقة..

كانت الدوريات تملأ المكان.. صرخ أحد الموظفين حين رأى المقدم..:

سيدي... إنه يحتجزها في غرفة الأرشيف..

غرفة الأرشيف.. مجددًا؟؟؟

قال المقدم:

- كيف دخل بها إلى المبنى.. أين الأمن؟

- لم يشاهد أحد لحظة دخولهما.. كما تعرف المبنى فارغ.. المرجح أنهما سلكا المدخل الخلفي..

- المدخل الخلفي..

ردد بدر..

هذه المرة لم ينتظر أن يدعوه أحد.. حاول الدخول.. لكن المقدم أصيل منعه..

- يجب أن لا تدخل.. أنت مدني وغير مسلح.. لا نعرف مدى خطورة هذا الفتى وما يمكن أن يلحق بسارة..

وجودك المعنوي عندما نخلصها منه.. أفضل من التورط معها أو إيذاء نفسك..

وقف مكتوف الأيدي للحظات لكنه قال:

- أرجوك سيدي.. أنا أعرف مداخل المبنى جيدًا.. قد أساعدكم في التوجه إلى المناطق المختلفة.. أعرف مدخلاً سريًّا قد يكون سلكه ذلك الوغد..

في قرارة نفسه، هو يعرف أنه لا يعرف أي مداخل سرية، لكن.. سيتعامل مع هذه الكذبة غدًا.. وسيدخل الآن..

لم يفكر أصيل كثيرًا ثم قال:

- دعوه يدخل.. ربما نستفيد منه كمرشد..

ثم قال له:

- لا ترتكب أي حماقة.. ولا تتدخل فيما لا يخصك..

توجها إلى القبو.. وإلى غرفة الأرشيف..

رأى بدر اللافتة المطبوعة التي تحمل تحذير الباب المعطل..

ألم يصلحوا الباب؟ أغبياء...

تساءل مع نفسه..

صرخ المقدم قبل أن يدخل..:

- جواااد.. أنت هنا.. أليس كذلك؟ أرجوك. اترك أختك ودعها في سلام.. سوف ندخل الآن.. سنراعي ظروفك جميعها إن لم ترتكب حماقة الآن.. سنفتح الباب يا جواد.

فتح الباب وتوجه جميع الجنود حاملين أسلحتهم تجاه كل أرجاء الغرفة

لم يكن هناك أحد!

كان هناك فقط هاتف محمول ملقًى على أرضية الغرفة..

الفصل السابع والثلاثون:
سارة

دفعني باتجاه الفتحة المربعة بعد ما أخذ مني الهاتف وأسقطه من خلالها..

قال لي:

- من هنا.. رميت جثة العاملة..

لقد دفعتك يومها للقدوم إلى غرفة الأرشيف في ذلك الوقت لألصق التهمة بك.. لأتخلص منك.. لتذهبي وتتركيني للأبد..

أردت أن أتخلص من مصيبتها ومصيبتك.. معًا..

دفع بجسدي حتى منتصفه إلى خارج الفتحة فتدلى شعري إلى الأسفل وأحسست بالدماء تندفع إلى أعلى رأسي وشعرت بعينيّ تخرجان من مكانهما:

صحت:

آآآآآآآآآآه!..

- اصمتي..

لم أكن سأقتلك لو لم تنتفخ بطنك.. لو لم تزرعي تلك البذرة بداخلك..

- جواد.. جواد.. أنا سارة.. ماذا دهاك.. هل تريد أن تقتلني؟ ماذا فعلت لك؟

حاولت استعطافه.. وأنا لم أستوعب بعد ما يجري.. كل ما كنت أريده هو أن يرفعني ويبعدني عن الجاذبية التي تسحبني للأسفل.. لكن جسدي المتدلي عبر الفتحة جعل إخراج الكلمات من فمي صعبًا عليّ..

كنت أمسك بذراعه متشبثة به أكثر من أي شي آخر.. أمسكت به وكأنه مخلصي..

أخي! يا حسرتاه..

- سأقطع ساقيك..

قالها هامسًا..

- جواااد.. صرخت بقوتي..

ماذا دهاه؟

- هل قتلت زينب.. هل أنت القاتل؟ لماذا؟ ما الذي يربطك بها يا جواد؟ كيف.. كيف يمكنك أن تقتل أصلاً؟

اتركككنني..

لم أتخيل أن أخي الذي فرحت بظهوره في حياتي.. الذي عددته أخي فعلاً.. الذي ظننت أنه مختلف عن بقية إخوتي..

الذي شاطرني المسكن الأول.. الذي رضع الحليب نفسه..

الذي عانى فقدان الأم مثلي.. يريد توريطي في جريمة... ثم التخلص مني..

- لماذا؟

وجدت نفسي أهوي وأرتطم بالأرض..

الطفل!!

تقوقعت على نفسي وبدأت بالنحيب..

- لماذا يا جواد.. ماذا فعلت لك؟

- تشبهينها كثيرًا!

أجاب ببرود وهو ينظر لي من الأعلى.. كأنه شيطان يتلبسه إنسي وليس العكس..

- منذ أول مرة التقينا.. رأيتها فيك..

لم أكن أعرف ملامحها.. أو على الأقل لم أكن أذكرها.. لكنني عندما رأيتك.. تذكرتها.. تذكرت ملامحها..

تذكرت اليوم الذي ذهبتُ فيه..

وتركتني وأنا أصرخ..: ارجعي...

أمي...

لم أخبرك أنني تبولت على نفسي كثيرًا وأنا أرى أبي يضربها على بطنها الكبيرة..

أردتها أن تأخذني.. لكنها هربت وتركتني وأنا أصرخ.. وأتبول...

ثم صرخ صرخة قوية:

- لم تلتفتتتتتت.. لم تعد...

التفتُّ إلى جانبي فرأيت هاتفي ملقًى..

هل سيأتي بدر؟؟ هل فهم رسالتي؟؟ هل وصلته؟

قفز برشاقة نحو الأرض فابتعدت عن طريقه خوفًا على نفسي..

تقدم نحوي..

واقترب.. عيناه لا تبشران بخير:

- كنتِ مثلها.. وستصبحين مثلها أكثر عندما تتكور بطنك..

ستموتين قبل أن يحصل هذا..

صرخت.. دفعته بقدمي.. ركلت..

طوق يديه حول رقبتي.. ونظر..

ضغط وأنا أحاول الفرار..

لا أعرف كم مضى من الوقت..

لم أعرف ماذا يجري. لكنني أحسست بنفسي متحررة أخيرًا..

التفت..

فرأيته في طرف الغرفة متكورًا..

قمت مذعورة.. لم يقتلني لم يقتلني...

نظرت إليه فقال بهدوء..:

- سأقتلك.. بعد قليل..

نظرت إليه...

- اسمعي أحببتك.. وقررت تقبلك ونسيان أنك تشبهينها.. أخبرت نفسي أنك عشت ما عشت وتألمت مثلي.. فربما لا تكونين مثلها..

لكن تقدم لك ذلك الوغد..

أي وغد؟ تساءلت في سري..

أجاب وكأنه سمع ما يجول في خاطري:

- ذلك الخطيب الأول.. حينها عرفت أنك ستكونين زوجة.. ستصبحين نسخة منها..

- لا أفهم؟؟

قلتها باستغراب..

- ما علاقة هذا بذاك؟؟

قمت عندما وجدته غارقًا في أفكاره وكأنه يحدث نفسه..

توجهت نحو الباب.. حاولت فتحه.. لكنه لم يفتح..

ألم يصلحوا عطل الباب اللعين؟

ضحك مني وقال:

- لم يُفتح الباب يومها.. كانت إضافة مفيدة لخطتي.. وما زالت .. لم يصلحوا الباب بعد كل ما حدث.. ما زالوا حتى الآن على القدر نفسه من الغباء..

جميعكم أغبياء لا تستحقون العيش..

- تلك الورقة... التي أردتَها من أجل إكمال الإجراءات..

نظر إليّ نظرة وتصنع كتمه للضحك وقال:

- ليس لها وجود..

أتعرفين؟ كنت أنوي أن أهوي بحديدة على رأسك كما هويت بمثلها على رأس تلك.. ذات البطن المنفوخة.. لكنني خشيت أن أفقد فقرة الحديث معك هذه..

اسمعيني.. أريد أن أبوح لك بما في قلبي.. أريد لمرة واحدة أن أظهر مشاعري وأقولها صراحة.. أن تسمعي صوتي وأنا أقولها..

نظر إليّ وقال بقرف:

- لا أحب الحوامل...

أكرههههن..

وأعتقد أنهن يجب أن يمتن..

سكت لفترة ثم قلت:

- هل تعتقد أنني سأتعاطف معك؟ هل ترك أمي لك وهي حامل مبرر لأن تكره منظر أي امرأة حامل؟..

قاطعني.. بصوت حاد..:

- لاااااا.. ليس فقط أي امرأة..

بل أي أنثى حامل.. فكرة إنجاب الأبناء..

فبدايتي كانت مع "قطة"!

حاولت فتح الباب بلا جدوى..

لكنه تصرف وكأنه يتعامل مع مجنونة.. تصرف وكأنه واثق من أن محاولة ثنيي عما أفعل أمر غير مجدٍ فأكمل حديثه:

- أول مرة رأيت فيها قطة حبلى.. كنت خارجًا من حلقة التحفيظ.. توقفت مع أمجد.. صديقي. الذي أحكي لك عنه.. أتذكرينه؟

تعجبت من طريقة سرده.. وكأننا نجلس في صالة بيته في جلسة عادية.. يتناول البروست المقلي.. وأنا أنظر إليه كالعادة..

إنه مجنون رسميًّا!!!

- كنا بالتحديد نشرب زجاجة عصير فوار بطعم البرتقال..

نظرنا إلى القطة فقال أمجد..: انظر إلى بطنها.. إنها حبلى..

حينها ضربتْ في رأسي ذكرى.. لم تزرني من قبل.. منظر تلك المرأة التي كانت تُضرب.. وتبكي.. والتي كنت دائمًا متشبثًا بها..

تلك التي كانت تهدد بترك البيت.. وبالذهاب بعيدًا..

كنت أخاف.. أخاف كثيرًا عندما أسمعها تهدد وتقول تلك الكلمات..

نظر إليّ وتحول وجهه إلى لون داكن وهو يقول:

- تشبهينها كثيرًا..

مسح وجهه بيده وانسابت دموع أكثر من عينيه.. وأكمل.. كلماته متقاطعة.. متقطعة.. لكنني فهمت..

- ذهبتُ.. نفذتُ وعدها.. ولم تنظر إليّ..

وخرج خلفها أبي..

تركاني وحدي في ذلك البيت.. صرخت حتى ظننت أن روحي انتزعت.. رميت جميع الأغراض.. ضربت على الباب.. ضربته كثيرًا..

"ماما!!!

ضربتها وضربتها بمطرقة

ثم خنقتها حتى الموت..

أتعرفين؟

لم أشعر بالخوف عندما ماتت تلك القطة..

بل شعرت بالراحة..

ارتحت لأن القطة ذات البطن المنفوخة أصبحت تحت التراب..

حتى الآن أنا ما زلت أعتقد أنها "سعاد" ما زالت موجودة.. بشكلها نفسه.. وببطنها المنفوخة نفسها..

وأول مرة شاهدتك فيها.. أحسست أنني فرحت.. رأيتها أخيرًا.. ثم ارتعبت.. إنها سوف تذهب..

وصل بي الحال أحيانًا لأن أتخيلك إياها.. مع أني أعرف أنك لست إياها..

بدأت أسمع عن معاناتك معها أنت الأخرى.. وعن مرضك القهري..

عرفت أنك مختلفة..

لكنني لم أستطع منع نفسي من مشاهدة ملامحها فيك كلما نظرت إليك.

قاطعته لأنه لن يسكت:

- هل قتلت زينب لأنها حبلى؟.. لأن منظرها ذكرك بأمي؟.. ما ذنبي أنا؟؟؟

- ذنبك....

قطع علينا الحديث ذا الشجون صوت جلبة الشرطة..

سحبني وأنا أصرخ.. بسرعة.. دفع المكتب المتهالك ووضعه تحت الفتحة ورفعني فوقه.. ثم صعد على المكتب نفسه الذي ظننت للحظات أنه سينهار ويقع بنا.. رفعني من ذراعي بقوة آلمتني ودفعني لأعلى بجسده الضخم صارخًا بي:

- ساعديني أيتها البلهاء.. لنصعد..

دفعني عبر الفتحة وأنا أصرخ..

اصعدي..

صعدت في فتحة التهوية من جديد..

إلى أين نحن ذاهبان.. ذراعايَ تؤلمانني من قوة السحب.. لكنه لم يكن يبالي..

بدأنا نتجه نحو الأعلى.. كان يتقدم وكأنه يعرف الطريق تمامًا.. أحسست بفخذي يشق من نتوء فاجأني وصرخت بألم... وهو مستمر بالتقدم.. في كل مرة أواجه مفترق طرق يدفعني عبر فتحة نحو الأعلى..

ماذا لو تهنا وسط الممرات؟؟ ماذا لو وصلنا لمنطقة مسدودة؟؟

هل يعرف طريقه؟

لا أعرف كم استمرت رحلة الزحف والتسلق في هذه المتاهة..

أخيرًا وجدت مربعًا شبيهًا بتلك الفتحة التي أسقطني منها..

رماني عبرها مرة أخرى..

صرخت مجددًا..:

- الطفل!...

سقط الطفل.. ذهب الطفل وذهب معه كل حلم جميل...

كنت أعرف أن كل شيء سينتهي ...

لم أكن يومًا محظوظة.. ذهب كل شيء.. تمامًا من حيث بدأ.. من
فة الأرشيف.

الفصل الثامن والثلاثون:
المقدم أصيل:

المبنى عالٍ جدًّا.. لا يُرى أعلاه سوى من بعيد.. انتشرت القوات في المبنى بحثًا عن جواد وسارة..

أخيرًا ومع ذلك الضجيج ظهر منذر قائلاً:

- لقد فتحنا غرفة الأرشيف.. ولا يوجد أحد

عرفنا أنه صعد إلى غرفة في الطابق الرابع... تقع فوق غرفة الأرشيف.. لا بد أنه سلك ممرات التهوية مجددًا..

ذلك المجنون..

لم نسمع جيدًا ما يقول.. لكنه كان يصرخ ويهدد..

تقدم منذر وهمس في أذن أصيل لكيلا يسمع بدر كلامه:

- لقد ربطها خارج شباك الغرفة.. إنه يهدد بإلقائها..

قال بدر بحماس:

- الدور الرابع.. أعتقد أنها غرفة المستخدمين.. لكنها أيضًا مؤصدة بالمفتاح..

أخشى أن يلقي بها ويلقي بنفسه بعدها..

نظر إليه منذر وتابع كلامه:

- لقد توجهت القوات للجهة الخلفية من المبنى حيث الغرفة المنشودة..

تم استدعاء الدفاع المدني وسيارة الإسعاف جاهزة..

بدأ يتملك أصيل التوتر.. مرت أكثر من خمس وأربعين دقيقة دون تقدم..

ومع أنه مجرم غير محترف، إلا أنه بدا مدركًا لما يفعل.. لقد طلب هاتفًا جوالاً ليتم التواصل معه، تبًّا للمسلسلات التي علمت العامة ما لا يجب تعلمه.

تم إيصال الهاتف بواسطة ربطه بسلم الدفاع المدني والذي استلمته سارة بفمها وهي مربوطة بكرسي مثبت بحبال خارج النافذة:

أخذ المقدم يشهد ذلك المنظر.. لقد عرف أن جواد قد بلغ مرحلة الهوس والجنون ومن الوارد جدًّا أن يرتكب أي شيء.

لقد اجتمع الجنون المزمن مع الجنون اللحظي داخله ليشكلا قوة جامحة لا يمكن التنبؤ بها.

إنه يهدد بإلقاء الفتاة إن لم تذهب القوات ويترك له السبيل للهروب..

- ما طلباتك؟

سأل المقدم

لم يعرف إن كان يمتلك خطة واضحة أم تفكيره عبثي..

رد عليه جواد من الطرف الآخر للهاتف:

- أن تتركوني دون عقاب..

تمالك المقدم أعصابه بسبب تفاؤل جواد .. هل يظن نفسه في مسلسل أمريكي حيث ينجح المجرم في الهروب إلى المكسيك؟

لكنه لا يريد استفزازه..

- نريدك أن تطلق سراح سارة.. الآن..

- لا.. ليس قبل أن تجهض الطفل..

نظر إلى وجه بدر المتوتر.. وقال..:

- لن تفيدك هذه الطلبات يا جواد.. لقد قتلت زينب.. واختطفت سارة بدون أي وجه حق.. فضلاً عن الجرائم الأخرى التي تعرفها.. كما أن ما تطلبه الآن يتسم بالعنف.. هل تتوقع أن نخلي سبيلك ببساطة؟

- لو أنهم وظفوني يومها.. قال جواد..

لماذا لم يختاروني وتنتهِ القصة؟

لم يعد يبقى لي إلا قليل من الإجراءات.. وكان طلبي بسيطًا.. أن أكون موظف أمن.. لماذا لم يقبلوا بي؟ أريد أن آكل أن أعيش..

فكر أصيل للحظات... قد تفيده إضاعة الوقت.. قد ينجح في تخليص سارة..

أبعد وجهه قليلاً عن الهاتف ووجه كلامه لبدر:

- يجب أن تحضر مفتاح غرفة المستخدمين.. تصرف..

ذهب أمامه بدر يجري كطفل أمره أبوه أن يحضر علبة المناديل..

عاد للهاتف ثانية وقال:

- أكمل يا جواد.. لماذا لم يقبلوا بك؟ احك القصة كاملة أنا أسمعك..

أخذ يستمع إليه وهو يحكي.. كلامًا متقطعًا يتخلله السباب والألفاظ الساخطة..

صعد المقدم هو وقسم من القوات للطابق الرابع في انتظار المفتاح.. وفي الوقت نفسه أرسل جنديًا محترفًا من الخارج بواسطة الحبل متجهًا بهدوء نحو النافذة..

أطال أصيل في الأخذ والرد مع جواد.. تحدث معه عن أبيه.. عن الوظائف.. عن المكان الذي يعيش فيه.. فمرة يحاول كسبه ومرة يحاول تهديده..

وعده بدر أن المفتاح سيحضر في ظرف ربع ساعة..

وأخيرًا وصل المفتاح وصعد أحد أفراد الأمن وناوله أصيل.. ولمح بدر على مقربة منهم..

لم يبق شيء.. هم الآن على بعد سنتميترات من باب الغرفة المنشودة..

نظر إلى المفاتيح.. كانت 3 .. بدأ بالأول..

صاح مرة أخرى لجواد وهو يحاول فتح القفل بهدوء:

- جواد أنت تظلم أختك.. ستؤذيها وتندم.. جميع الجنود مسلحون في الخارج.. استسلم!

صاحت سارة..:

- أرجوكم لا تؤذوه! فقط خلصوني منه...

لم ينجح المفتاح.. نظر لبدر بغلٍّ وهو يحاول بالمفتاح الثاني.. بدأ يشعر بداخله أن بدر لم يفلح في جلب المفاتيح الصحيحة..

ظهر صوت الجندي من الخارج قائلاً عبر الجهاز:

- سيدي إن رقبة سارة قد لفت بغطاء رأسها وعلقت في أحد أطراف الستارة..

- هل يعلم جواد بوجودك في الخارج؟

- لا أظن...

قال جواد..:

- إن حاول أي شخص الدخول فسأفك هذه العقدة وسأقذف بها من النافذة.. فإن لم تمت من السقوط فستموت من الاختناق..

ابتعدوااااااا عن الباب..

بسرعة تحدث أصيل مع الجندي خارج النافذة.. أن يهدأ ويحاول السيطرة سريعًا..

قرر المقدم اتباع الخطة الأخيرة..

أراد اللعب على إتلاف إعصاب جواد...

لكن تأخر الوقت ولم يعمل المفتاح الأخير.. يبدو أن هناك مفتاحًا مثبتًا على الجهة الأخرى من الباب.

شعر بتوتر.. صرخات سارة اختفت.. ولم يعد لها أثر.. وصوت جواد هدأ..

تدخل بدر.. وبدأ يضرب الباب بكتفيه.. ويكيل السباب لجواد.. أبعده أصيل..

وقال:

- ابتعد يا رجل.. لا تؤذ نفسك.. هل تظن نفسك بطل كمال أجسام؟

نظر إلى جهاز اللاسلكي وسأل في الجهاز:

- ما الأخبار يا حسين؟ ماذا ترى؟

جاءه الصوت من خلف الجهاز صادمًا..:

- إنها لا تتحرك سيدي.. على الأرجح أنها ماتت..

صاح بدر:

- ماتت؟!

سارة ماتت.. يا إلهي..

بدأ يضرب بيديه ورجليه على الباب الموصد..

صاح بدر:

- لا لا.. حاولوا مرة أخرى.. لا يمكن أن تكون قد ماتت.. أيها الكلب الخبيث جواد.. لقد قتلتها أيها المجنون.. أيها الوغد.. سأدق عنقك..

حينها.. وحينها فقط، فتح الباب بكل هدوء وخرج جواد بعينين أشبه بفنجاني شاي...

وقال:

- لم أقصد.. لم أردها أن تموت!

الفصل التاسع والثلاثون:
سارة..

ربطني بواسطة غطاء رأسي خارج النافذة.. أطلق جسدي للهواء وركزني بكرسي في وسط النافذة العريضة..

في كل مرة يقوم بها بخطوة.. يثبت لي أنه مجرم غبي..

والمجرم الغبي ليس دائمًا أفضل من المجرم الذكي..

لا أعلم إن كنت مصابة بمتلازمة ستوكهولم.. لكنني أشفق عليه..

إنه لا يعرف ما يفعل..

هو ضحية وليس جانيًا..

ينبغي لأحد أن يوقظه من وهمه.. ليس إلا..

بدأت أزيد جرعة الاستعطاف..:

- جواد.. إنك لست هذا الشخص.. فأنت لست شريرًا بطبعك.. بل أنت نتاج أعمال أمي.. أليس كذلك؟ كل ما تريده هو حياة طيبة.. تنسى معها كل ما مررت به من ظروف..

أنا لست مثلها لا أشبهها سوى في الشكل.. أنا كنت ضحية مثلك..

صرخت بعدها:

- آآآآآآآآآآآآآآآآه.. أنقذوني بالله عليكم!... أرجوكمممممممممم

لم يرد عليّ بشيء.. أصبح ينظر إليّ.. وينظر ليديه.. ثم ابتعد باتجاه باب الغرفة..

بدأت أشعر بألم في رقبتي وأنا أحاول النظر إلى ما يفعل..

أفضل ما في الأمر.. أنه أصبح بعيدًا عن وجهي... لا يمكن أن يقترب منه كما كان يفعل في السابق.. لكن ماذا لو أدار وضعيتي وجعلني في مواجهته؟

وصلت لمرحلة فضلت أن يرميني بدلاً من تعليقي بهذه الوضعية:

- سأقطع ساقيك..

سمعته وأنا أتخيل حاجبيه يرتفعان بتلك الطريقة المرعبة..

أحسست بحركة في الهواء الطلق الذي بدأ يلفح وجهي.. ومع تطاير خصلات شعري التي انسابت من ضفيرتي، لم أستطع التمييز ما بين إن كانت تلك الحركة المريبة من تلك الخصلات أم من طير فكر أن يشاركني لحظتي الأخوية المميزة..

أخيرًا شعرت بجسد يقترب من يميني..

إنه ضابط الدفاع المدني.. يلبس خوذة وقناعًا..

أشار لي بإصبعه بالهدوء.. فأشرت له وكأنني أفهم خطته.. إن كان يريدني أن أصمت فسأسمع الكلام.

بدأت أفرفر.. لكن الربطة المحكمة قيدت حركتي..

أمسكت يده بذراعي.. ونزل إلى أقصى نقطة يمكنه فيها الابتعاد عن النافذة..

قال بهدوء:

- لا تتحركي.. تظاهري بفقدان الوعي.. لا تتفوهي بكلمة.. ولا تصدري أي صوت.. نحن بصدد تنفيذ خطة..

خفت أن يسمعنا جواد.. لكنه.. مشغول بالحديث في الهاتف للتفاوض..

لم أعرف ما أقول.. أمسكت به.. وأحسست أنني سأتدلى وأسقط.. بدأت أتمتم بآيات الحفظ..

بدأ الرجل بالحديث في الجهاز قال أمامي:

- "إنها لا تتحرك سيدي.. على الأرجح أنها ماتت"

...

لسوء حظي نظرت إلى المنظر بالأسفل.. ولعنت فضولي الزائد..

مجموعة لا نهائية من سيارات الشرطة وقد بدت في حجم اللعب الصغيرة.. جمع غفير من الأشخاص الذين بدوا مثل النمل المتحرك.. سيارات رسمية وغير رسمية.. وسيارة دفاع مدني..

رفعت رأسي لأجد مجموعة من أفراد الدفاع المدني متسلقين بحبال أخرى وسلالم قد امتدت على بعد من موقعي..

بدأت أشعر بالاختناق.. أحسست بحركة فجائية لم أعرف ما هي..

لكن ارتجاجًا قويًّا دفعني لأهوي في ثوان..

وينتهي كل شيء...

الفصل الأربعون:

بدر:

نظر إلى سيارة الإسعاف حيث كان جسدها الخفيف يرفع داخلها على النقالة الصغيرة.. نظر إلى المشهد من بعيد كأنه ينظر إلى مشهد سينمائي.. حيث الحلقة الأخيرة توضح كل شيء.

داهمت الشرطة الغرفة.. وتم القبض على جواد بعد إلقائه بسارة من نافذة المبنى.. ترى هل ماتت بعد أن ألقى بها أو أنها كانت ميتة بالفعل؟!!

وهل هناك فرق؟

فقد انتهى كل شيء.. فعلاً..

ماتت سارة..

وانتهت معها القصة..

لا يهمه إن كان جواد مريضًا ولا يهمه إن كان حق العاملة قد عاد إليها.. لا يهم إن كان وجع الرأس انتهى.. ولا يهمه أن اللغز قد حل..

كل تلك تفاصيل.. لا علاقة له بها..

مشى بعيدًا لا يعرف ماذا يفعل.. وترك كل شيء وراءه..

تساءل مع نفسه..: لو أنه ترك كل ذلك المشهد.. فهل يستطيع أن يلغي تلك الأسابيع من عقله..

أن يعود لحياته القديمة كما كان؟..

حياة لا وجود فيها لكل تلك التفاصيل..

ولا الأشخاص.. ولا الأحداث..

أعاد صياغة الجملة في عقله ثم همس بها:

- لقد ماتت..

ثم صاغها على شكل سؤال:

- ماتت؟؟

لم يعرف إن كان من المناسب أن يجهش بالبكاء في ذلك الشارع أم أن يهوي على الأرض..

أن يرتمي ويفرفر كالأطفال أم يترك سيلاً من الدموع تحرق خده الملتهب..

لقد حاول إنقاذها.

لا يريدها أن تموت..

والطفل؟

لقد فقد كل ما كان له معنًى..

هل يصيح مخترقًا السماء بصوته؟؟ أعاد تكرار السؤال..

أصبح يدور في دوائر كثيرة وهو يمشي بين السيارات والحافلات

على ذلك الطريق السريع.. سمع صوت هاتفه يدق.. وكأنه داخل فقاعة..

إن الهاتف يدق في ذلك العالم البشع الذي لا يريد أن ينتمي إليه.. العالم الذي قتلت فيه سارة..

لماذا لم يبك بعد؟ ماذا ينتظر.. الألم والخوف.. والرجفة.. والذهول جميعها تضغط على حواسه.. والأصوات ترغي وتزبد حوله.. الطريق موحش.. والسماء بلون داكن مؤذنٍ بالغروب..

الكون لا يشبه الكون..

سارة...

ماتت؟

أعاد السؤال..

رأى رجلاً يحمل كيسًا من الخبز..

ورأى مجموعة من طلاب التحفيظ..

ورأى المسجد..

وسمع الأذان..

- لا إله إلا الله..

أغمض عينيه.. وردد الشهادة.. ثم أمسك بأول شخص يمر أمامه متوجهًا لصلاة المغرب..

أمسك به برفق.. كأنه طفل يبلغ أمه بخبر:

- زوجتي.. زوجتي ماتت الآن..

أمسك به الرجل وهو يردد الشهادة ويربت عليه.. حينها ارتمى في حضنه وأخذ ينوح كطفلة حلمت بغول التهم أطرافها واستيقظت على حضن أمها..

وجد نفسه وسط غرفة الوضوء يغسل وجهه ثم يتوضأ بقوة البكاء نفسها ونواح الطفلة نفسه.. تلك الطفلة التي يملؤها الخوف وعدم التصديق..

صلى وهو يهتز من البكاء.. ودعا وهو يعتصر من الألم..

سمع عبارات المواساة وهو لا يرغب في السماع.. إنهم لا يفهمون.. إنها سارة!

جلس في ركن المصلى ينظر للقادم والرائح بالذهول نفسه..

جلس بجانبه رجل.. لم يعرف إن كان هو أول رجل أمسك به أم لا.. أخذ ينظر لملامح الرجل.. أنفه الكبير ولحيته التي تحوي شعرة سوداء واحدة.. وتذكر..

لقد صرخ كثيرًا عندما سمع خبر سارة.. لقد حاول مهاجمة جواد.. لقد ضرب أشخاصًا لا يتذكر من هم..

نظر إلى قبضة يده فوجد جروحًا لم يعرف مصدرها.. الخيال نفسه بدأ يسترجع أحداثًا ألمت به.. وجد المقدم أصيل يصرخ في وجهه.. ومنظر الرائد منذر يمنعه من ارتكاب أي حماقة.. تذكر أنهم وضعوه في الإسعاف بانتظار جسد سارة لكنه لم يلبث هناك إلا ثانية ثم قاوم ومشى.. ونظر إليهم من بعيد..

كم مضى من الوقت؟

حدثه الرجل كثيرًا.. ثم سأله:

- أليس لديك أولاد؟ يجب أن تتماسك من أجل أولادك..

- كانت حاملاً..

- اسمع يا بني هذا الجزع لن يفيدك بشيء أنت الآن رجل صاحب مسؤولية.. وآخر حق لها عليك أن تحسن دفنها وعزاءها..

ما نفعها بك وأنت الآن مختبئ تبكي على وفاتها؟

اذهب يا بني استلم جثمانها.. وأتمم إجراءات دفنها.. وصل عليها.. وقم بواجباتك.. لا يمكنك الآن سوى الدعاء لها وتذكر كل جميل منها..

هل تريد مني أن أتصل على أحد أقربائك ليقلك؟

حينها فتح بدر هاتفه ونظر إليه..

وجد رسالة من المقدم أصيل يأمره بأن يتوجه للمستشفى..

نظر للرجل الغريب وقال كطفل لا يتجاوز عمره الثانية عشرة..:

- لم يمت لي أحد من قبل.. لا أعرف ماذا أفعل؟

أخذه الرجل وأجلسه في مقعد السيارة ثم انطلق مع سائقه حيث المستشفى..

سيراها ... اهتزت أوصاله!

سيرى سارة وهي لم تعد سارة.. ضرب على وجهه ومسح أنفه.. لكن الرجل صاح به هذه المرة:

- تماسك يا رجل!.. ماذا دهاك؟.. لديك كثير من الأمور لتقوم بها.. من أي طينة أنت؟

يبدو أنه قد فاض الكيل بالرجل..

فتح هاتفه ورؤيته لا تزال ضبابية..

هل يبلغ والدها أم ينتظر؟

ماذا يقول له؟..

لم أكن أمينًا بالمستوى المطلوب؟

هل يبرر له ما حصل.. شعر بالبرودة تسري بين عظامه من جديد.. إنه لا يعرف ماذا يقول.. إلا أنه وجد المقدم يتصل.. بمجرد أن فتح الخط صرخ المقدم في وجهه:

- أين أنت أيها الأخرق؟.. هل هذا وقت خلوتك بنفسك؟.. أم وقت نوبات الهلع التي تحدثني عنها؟

- أنا قادم.. للمستشفى العام أليس كذلك؟

- بلى.. يجدر بك أن تأتي.. إنها وحدها الآن... لن يمكننا استجوابها.. لكننا سنتدبر أمر جواد الآن..

هل اختل في عقله؟

لقد قال المقدم إنه لا يستطيع استجوابها.. بالطبع لا يستطيع فهي ميتة..

أخذ يفكر في الكلمات وهو يدخل أروقة المستشفى والجنود يحيطون بالمكان وينتشرون في أرجائه..

بالطبع لا يمكن استجوابها..

هل يعني؟

بدأت خطواته تتسارع وهو يسأل عن اسمها في الأوراق.. في مكاتب الاستقبال.. وهو يرتاد المصاعد

لم يذكر أحد أنها ميتة..

لكنهم قالوا إنها ميتة؟ إنها ماتت.. شنقت.. خنقت وألقيت من عل..

تذكر صديقه الذي توفيت والدته قبل بضع سنوات عندما قال...:

- كنت أتمنى أن تكون كذبة.. أن يكون الطبيب قد أخطأ.. سأسامحه على خطئه.. لكنني سأفرح أكثر.. لقد رأيتها تتنفس وهي ترقد ميتة.. رأيتها.. أو قد يخيل إلي.. لكنني كنت مخطئًا.. لقد كانت ميتة..

ومع تيقنه.. إلا أن شعور الأمل لذيذ.. ربما لم تمت..

لربما ستعود الحياة بعد توقف..

وتعود سارة للحياة...

الفصل الحادي والأربعون..
تتمة صفحة 1
بودكاست جريمة

كيف نبدأ حكايتنا؟

هل تريدون سرد القصة منذ البداية؟ أو من المنتصف؟ أم من النهاية؟

على فكرة.. هذه القصة بالتحديد يمكننا أن نعد أيًا من أجزائها البداية أو النهاية أو المنتصف.. إنها أشبه بحلقة مترابطة لا بداية لها ولا نهاية معينة..

كل من يجزم أن مرحلة ما هي البداية، يجد أن خيطًا من النهاية يمتد فيها.

لقد استطعنا في بودكاستنا اليوم أن نكشف عن هوية صاحب الجريمة التي هزت مياه الحياة العذبة في تلك المدينة.. وجعلت الرأي العام يشتعل لأسابيع..

قضية تضمنت فضائح شرف.. قتل.. تشويه.. وجرائم أخرى سنسمع بها معًا...

تضمنت أبعادًا نفسية قد تصل إلى عقلية.. أوصلتنا إلى قاتل حيوانات متسلسل.. كان على شفا أن يصبح قاتل بشر متسلسلاً.. لولا قلة الخبرة..

معنا جواد المتهم الرئيس في عدة جرائم، أهمها.. قتل عاملة تنظيف والتمثيل بجسدها..

دعني يا جواد أسألك بالتحديد.. لم قتلت تلك العاملة؟

- حسنًا.. لقد وعدتني أن أصبح مشهورًا.. وأن تخلد قصتي..

إنها آخر فرصة لي لأثبت نفسي في هذه الدنيا..

لم أكن أنوي.. أعني أن أقتل تلك المرأة.. لقد كان يومًا عاديًا.. لم أتوقع فيه أن يحدث شيء.. أعني.. أنني قد أكون في حال أسوأ في مرات أخرى..

بالعكس كنت متفائلاً قليلاً.. لأنني قد أحظى بوظيفة رسمية كموظف أمن في ذلك المبنى الذي يحوي عدة مكاتب.. لقد قدمت في العيادة الجديدة.. وبالفعل ذهبت..

طبعًا أوراقي الرسمية غير مكتملة.. لقد أخذت معي يومها أوراقي المؤقتة. وأيضًا استمارات طلب إثباتاتي..

بالطبع كنت ساذجًا بشكل كافٍ لأعتقد أن تلك الوظيفة ستكون من نصيبي.. لكنني شعرت بحقد قوي يومها.. عندما رأيت أن ما يعوقني هو بطاقة إثبات يمتلكها جميع المواطنين..

ببساطة ومنذ الولادة..

دق في رأسي السؤال نفسه.. لماذا أنا بالذات؟

خرجت بعد أن رأيت الاستنكار على وجه لجنة التوظيف. شاب بلا ماض أو مستقبل.. يسعى لإثبات نفسه في هذه الدنيا.. لا أنوممهم.. لم يتورط المرء في توظيف شاب مثلي.. ومئات من الشبان الجاهزين بالمؤهلات متوفرون.. ما قيمتي المضافة.. وما قيمتي أصلاً؟

حسنًا.. لديّ بعض التحفظات على رؤية أي أنثى تحمل طفلاً داخلها..

أكرههن. وأشعر بأنانيتهن المفرطة.. من هي حتى تقرر أن تنجبني أو أن تنجب غيري؟

رأيتها.. تلتقط أكواب القهوة الورقية المستعملة وتمشي بتثاقل..

أثارت استفزازي بشكل مقيت..

لماذا تنجب شخصًا لهذه الدنيا؟ ألكي يصبح عامل نظافة مثلها؟ راقبتها.. وحاولت مرارًا أن أشيح بالنظر عنها.. لكنني شعرت أنني أغوص داخل الحنق والغضب كلما نظرت إليها..

راودتني الحالة نفسها التي تتملكني كلما رأيت قطة حاملاً..

رأيتها تخرج من الباب.. وخرجت وراءها..

راقبتها وهي تتحدث مع رجل من جنسيتها.. كان يبدو عليهما أنهما يتجادلان..

أنهت شجارها ونظرت إليّ..

اقتربت مني وقالت:

السلام عليكم..

يبدو أنها توسمت فيّ فعل الخير وطمعت في إكرامية..

رددت السلام.. ورأيتها تتوجه إلى داخل المبنى.. مشيت وراءها ورأيتها تتوجه إلى الباب الخلفي المخصص للخدم..

عدت للمنزل لكن صورتها لم تبرح خيالي.. شعرت بأشياء تختلج في داخلي.. فمرة بدت لي أنها السبب في رفضي.. ومرة أخرى بدا لي الطفل الذي داخلها هو أنا.. لم أعرف ما أفعل.. لكن الشيء الوحيد الذي كان يريحني.. هو منظرها ميتة..

عدت مرة أخرى للمبنى..

ورأيتها تتوجه إلى الباب الخلفي.. حينها.. دخلت وراءها بلا تفكير..

يسكت مطولاً ثم يتناول جرعة من كأس الماء على الطاولة.. لا يبدو أنه سيكمل..

يشجعه المحاور مرة أخرى.. قائلاً:

- هل خنقتها؟

- لا لقد ضربتها على رأسها بصفيحة معدنية..

- ألم تصرخ؟

- بلى..

يقولها باقتضاب.. ويكمل ما يجول في عقله..

- صرخت قليلاً وقاومت فأطبقت بكفي على فمها.. ثم ضربتها على رأسها بصفيحة معدنية وسرعان ما فقدت الوعي.. أخذت من حولي كيسًا أسودَ وضعتها فيه ثم سحبتها للسيارة من الباب الخلفي..

- ثم؟

- شعرت بالخوف ولم أعرف ما أفعل.. عندما كنت أفعل الشيء ذاته مع القطط لم يكن الأمر يبدو مخيفًا..

لكنني أخذتها إلى البيت.

- ألم يرك أحد؟

- المنطقة مليئة بالناس لكنني سحبت صندوقًا كبيرًا ورميت بها داخله وأدخلتها إلى البيت.. لقد تعودوا جميعهم مني حمل أجهزة المكيفات وصناديق أجهزة الحاسب للتصليح.. لم ينتبه أحد لي أنني أحمل صندوقًا بداخله امرأة..

في المنزل لم أعرف إن كانت حية أو ميتة.. لكنني خنقتها على كل حال..

- بماذا كنت تحس بالتحديد؟

- كنت أنظر إليها وأرى بطنها المتكورة وأزداد غضبًا.. انهلت عليها بصفعات كثيرة..

ثم أحضرت سكينًا.. وضربت على ساقيها.. ..

ثم..

ثم أحضرت المنشار الكهربائي الذي أستخدمه لقطع الحديد.. وقطعت ساقيها..

- لم ساقاها بالتحديد؟

- لأنني.. رأيت في الحلم..

- أي حلم؟

- تكرر الحلم كثيرًا.. كنت أراها.. تسير في ذلك المشهد الذي لم يبرح خيالي..

وهي تذهب بساقيها.. ولا تعود..

في كل مرة كنت أسحبها وأقطع ساقيها..

رأيتها مئات المرات تقريبًا في كل مرة أنام.. أراها..

- من تقصد.. زينب؟ هل كنت ترى زينب في الحلم؟

- لا

- أتقصد أختك سارة التي ورطتها في كل ذلك؟

- لا..

- من إذًا؟

- سعاد..

- من هي سعاد؟

- هي.. هي...

المرأة التي ولدتني..

- والدتك...

- أهمم هز رأسه وهو يصدر ذلك الصوت..

- كان شعورًا مريحًا عندما قطعت الساقين ونظرت إلى جسدها هامدًا بلا روح. كان الواقع كما الحلم بالضبط. المتعة نفسها.. لولا الفوضى التي أحدثتها الدماء.. نمت يومها بعمق.. وراودني الحلم نفسه لدرجة أنني لم أعرف إن كان كل ما مررت به هو تتمة للحلم..

بدأت أجهز لدفنها في مكان ناء كما كنت أفعل مع القطط.. لكنني رغبت بالاحتفاظ بالساقين.. لغرض المتعة..

- دفنتها؟ ألم تلق بها من فتحات التهوية في مبنى الأعمال؟

وما علاقة سارة بالأمر؟

كيف وصلت سارة إلى غرفة الأرشيف؟ ولماذا؟

- إنك عجول ولا تنتظر السرد المتأني للأحداث.. لماذا تقفز لاستنتاجات وتقاوح بأسئلة؟ ألست أنا من يجب أن يقوم بالحديث؟؟

ألم تعدني أن أتحدث وأبين مدى براعتي في تنفيذ كل شيء؟..

- أنا آسف أعتذر إن كنت قد أزعجتك بمقاطعتي.. فضلاً أكمل..

- في الوقت الذي كنت أستعد فيه لتنظيف كل شيء وحمل الجثة للتخلص منها.. اتصلت سارة للقائي

منذ بداية تقربها مني وأنا أشعر برهبة عند رؤيتها.. فهي تشبه سعاد كثيرًا.. حتى صوتها.. نفسه..

في بداية التعرف عليها رغبت حقًا بقتلها.. تمنيت أن تموت.. لكنني كنت أضبط نفسي وأوكد أنه مجرد شبه ظاهري.. وهي ليست مثلها.. ليست أنانية.. ليست هاربة.. وقد كانت طيبة فعلاً.. كنت قد اطمأننت لوجودها كانت مصدر أماني الجديد.. وثقت بها وأحسست أنها عوض عن أشياء كثيرة سيئة مرت بي. لكن....

لكن.. بعد قتلي لزينب.. حضرت سارة.. التقينا في الحديقة العامة بجانب منزلي.. عند عربات القهوة والوجبات الخفيفة.. يومها، فاجأتني سارة بخبر الخاطب المتقدم لها.

كانت منفصلة عندما التقيتها لأول مرة.. لذا لم يخطر في بالي أنها قد ترتبط.. أخبرتني أنها ترغب في البدء من جديد مع زوج جديد.. أخبرتني أنها تريد تأسيس عائلة.. وإنجاب الأطفال..

شعرت بالغضب.. تريد أن تصبح أمًا.. كيف تريد إنجاب الأطفال.. هل هي قادرة على هذا؟ هل ستضمن لهم حياة كريمة؟..

النساء أنانيات.. ينجبن الأطفال من أجل أنفسهن فقط..

بدأت أرى فيها سعاد؟؟

إنها تتحول إلى سعاد..

ستنجب جوادًا جديدًا..

يجب أن أمنعها..

ومع عودتي للمنزل ونظري إلى جثة العاملة الممزقة.. اختمرت الفكرة في رأسي..

سأتخلص من الجثة.. وسأنتقم من سارة..

اختلقت قصة أن ورقة مهمة بالنسبة لي موجودة في غرفة الأرشيف في ذلك المبنى.

توسلت إليها أن تذهب وتجلبها لي من تلك الغرفة.. أعرف نقاط ضعفها. لا تحب أن ترفض لأحد طلبًا.. ولا تحب أن تشعر بالذنب تجاه أحد خصوصًا تجاهي. أعرف أنها تشعر بالغصة لوضعي المزري..

كذبت وكذبت.. ادعيت أن ورقة تثبت ولادتي في أحد مستوصفات المدينة موجودة لدى مكتب المحامي في تلك البناية.. وأنه تم إخفاؤها من قبل خصم لديه مصلحة في إفساد إتمام أوراقي..

أردتها أن تذهب إلى هناك..

وهناك

ستكون الجثة بانتظارها..

قبل يوم الأرشيف بدأت أتردد على المبنى وعرفت من أين تتوفر ملابس موظفي الأمن.. اخترت زيًا.. ولبسته بحيث أستطيع التجول دون أدنى ريبة..

- هل أشعرك ذلك الزي بشيء من إرضاء الذات؟

- كيف عرفت؟

- مجرد استنتاج.. ما هي القيمة التي أضيفت إلى ذاتك من تلك الملابس؟

- عندما عدت إلى المنزل.. رأيت نظرات الإعجاب في أعين بعض سكان الحي.. شعرت أني فرد.. لا أعلم.. إحساس مختلف.. للحظات نسيت أن هناك جثة تنتظرني في المنزل..

المهم.. درست جميع المداخل.. وفتحات التهوية.. وجهزت لتوريط سارة في الغرفة.. كنت أتردد على مدى اليومين التاليين لمقتل المرأة وأنا أرتدي الزي.. دون أن ينتبه أحد لي.. تيقنت بعدها أنه حتى عامل الأمن لم يسلم من النظر إليه بدونية.. لم يحاول أحد من الموظفين إلقاء السلام والنظر إلى وجهي..

يبدو أنني لست الوحيد الذي يعاني في هذه الحياة..

حددت الموعد لها بالتحديد.. لكنني لم أكن دقيقًا بالشكل الكافي..

لم أعرف أن ذلك المدعو بدر سيكون هناك.. ظننت أن المبنى قد فرغ مع انتهاء ساعات الدوام وبداية نهاية الأسبوع..

لم أعرف أن الباب لا يتم فتحه من الداخل..

حملت الكيس الأسود الذي ضم الجثة القصيرة المتكومة

بداخله.. واتجهت إلى فتحات التكييف بعد أن أغلقت المفتاح الرئيس المشغل للتكييف في ذلك الدور..

صعدت من غرفة الخدمات.. المجاورة لغرفة الأرشيف وزحفت.. وعندما سمعت أصواتًا.. اختبأت لفترة...

لم أعد أعرف كم الوقت..

متى ستكون سارة هناك؟ لم يكن لديّ فكرة..

أحسست بالورطة.. أنا وجثة العاملة الملعونة في الممر المظلم.. بجوار غرفة الأرشيف..

زحفت حتى وصلت إلى فتحة التهوية الخاصة بالغرفة الموعودة.. ونظرت من فتحاتها فوجدت سارة مع ذلك الرجل الغريب..

حينها قررت أن أرمي الجثة وأفر بعيدًا عن المبنى برمته.

الفصل الثاني والأربعون:
المقدم أصيل:

فكر أصيل..

بقدر ما كان جواد بارعًا في نواح إلا إنه كان غبيًّا في نواح أخرى.. كان غبيًّا في طريقة ارتكاب الجريمة.. في كيفية الإطاحة بسارة.. بطريقته في التعامل مع فكرة اكتشاف أمره..

إلا أنه كان ذكيًّا في طريقة التلاعب النفسي بشخصية سارة..

لقد عرف مداخلها.. ونقاط ضعفها وقوتها.. عرف كيف يحركها كلعبة خيوط..

استغل عاطفتها تجاهه وقلة ثقتها في إصدار الأحكام وحاول إقناعها بأنها الفاعلة..

قد يكون له تأثير المنوم المغناطيسي نفسه عليها ودهاء المشعوذ نفسه والذي يستخدم السحر الأسود لتحريكها..

تساءل بينه وبين نفسه عن تلك الأم التي أنجبت شخصين مريضين.. أحدهما يعاني من عقد وسلوك إجرامي ناتج عن عنف الطفولة..

وأخرى تعاني من وساوس قهرية أثرت في نقطة معينة في حياتها..

لكنه عرف أن هنالك فارقًا ما بين السماء والأرض بين تعامل كل فرد من الولدين مع إصابته..

سارة.. استطاعت بقدر ما مساعدة نفسها وخلق بيئة قابلة للحياة من حولها..

وجواد تحول إلى قاتل موقوت.. أو مجرم موقوت.. قدر ضغط كبت لسنوات.. وتنفس منه بعض البخار..

إلا أن انفجاره كان مدوِّيًا..

لقد استغل ذكاءه وخبرته في التحكم بأجهزة أخته.. جعلها تظن أن أشياء تتراءى لها.. ثم جعلها تصدق ما ترى..

ألقى بها في برزخ ما بين التهيؤات والتأكيد.. وما بين الحقيقة.. والوساوس..

جعلها تمشي محدثة نفسها..

وتتساءل.. هل كنت الفاعلة أم لا؟..

ومع كل الأدلة التي تنفي ضلوعها في الأمر، تظل تسأل نفسها السؤال نفسه..

جواد ضحية بلا شك.. لكن سلوكه الإجرامي لا يغفر له ما قام به.. لكن أباه هو المجرم الأول.. لو كان بيده الأمر لعاقب كل أب

لا يملك من مقومات الأبوة سوى الجانب الحيواني منها والذي ترك ابنه يضيع ويتشرد في الدنيا..

ولحرم كل امرأة جردت من طبيعتها الحنون لتترك أطفالاً مشوهين نفسيًا.. يصارعون الحياة ويجترون أحلامًا تزورهم كل ليلة بلا ذنب..

جميعنا نملك مشكلات.. وكلنا بلا استثناء خلقنا في كبد.. لكن الوالدين هنا هما صاحبا نصيب الأسد في الملامة..

لم يمر عليه يومًا إنسان غير سوي نفسيًا وذو سلوك إجرامي دون أن تكون طفولته أو علاقته بأحد والديه على الأقل سامة..

على كل حال لقد تم حل القضية.. وتحقق حدسه في براءة سارة.. وانتهت قضية سعاد التي لم تحقق من وجودها سوى العاهات النفسية..

نظر إلى صورته الاحترافية مع ابنتيه وابتسم..

ودعا الله خفية أن يكون جديرًا باللقب الذي يحس بصعوبة حمله كلما تقدم في السن.. لقب (الأب)

يستطيع الآن التقديم على إجازة مطولة بالتزامن مع إجازة الربيع..

الفصل الثالث والأربعون

سارة..

لم أمت...

كيف لا أقاوم من أجل حياة بدأت تزدهر أمامي فجأة؟ كنت أشكك في تحقق الأمنيات.. لكن الواقع كان أجمل.. لقد سمعت صوت بدر وقد أتى لأجلي..

أتى لإنقاذي..

ومع أن صدمتي في جواد قاتلة بسبب ما أعده لي وما استدرجني إليه.. لكن القادم قد يكون أجمل..

لقد ربطني جواد وثبت الكرسي على النافذة.. لكنني وبمساعدة رجل الإنقاذ اتفقنا على خطة بأقل الكلمات..

تم إلهاء جواد مع القوات التي كانت ترابط خارج الغرفة.. وبخفة يد المنقذ تم حَلّ العقدة المرتبطة بالستارة.. كانت الطرحة لا تزال تخنقني.. أردت المزيد من الهواء..

أشار إليّ المنقذ أن التزمي الصمت.. ربط حولي طوقًا وطلب مني إحكام إغلاقه ثم إلقاء نفسي..

لم أستطع.. رأيت تحتي المنظر مفزعًا.. سألقي بنفسي إلى النمل المتجمع من البشر تحتي..

أشار لي وهويت.. كاتمة صرخة لو انطلقت لأسمعت من في الصين..

لقد كانت خدعة لإيهام جواد أنني مت اختناقًا..

وقد نجحت الخطة.. بدا له وكأن وزني قد شد الغطاء الملتف حول رقبتي لدرجة أن خنقت وسقطت من عل.

لقد خدعت جواد كما خدعني.. لقد انتقمت منه بالطريقة نفسها..

بعد أيام من بقائي في المستشفى..

ساورني الشعور نفسه.. التعاطف..

لم يكن جواد مجرمًا.. بل كان ضحية..

له الحق في كل ما فعل:

- أظن أنك تعانين من متلازمة ستوكهولم.. قالها بدر وهو يربت على يدي..

- أرجوك لا تحاول فرض عضلات ثقافتك عليّ..

قلتها بضحك لبدر..

وبدر.. إنه حكاية أخرى..

عندما نفذنا الخطة لم يكن في الحسبان أن الساذج الأكبر فيها هو بدر.. يبدو أنه من قوة الحبكة، انطلت الكذبة عليه أيضًا..

لقد صدق فكرة موتي.. ألهذا الحد كانت فكرة مقنعة؟ صحيح أنني كنت على قاب قوسين أو أدنى من الموت.. وقضيت ثلاثة أيام في العناية المركزة.. نظرًا لآثار الاختناق والسحل..

إلا أنني الآن بقوة القرد..

قال لي بدر:

- هل تعرفين المثل القائل..: (التقط الكبابة من القدر؟)

- نعم؟؟ قلتها بتساؤل.. ثم فهمت ...

- أها هههههه نعم لقد التقطت قطعة الكباب من رأس القدر، فيمجرد سماعك لعبارة: (سارة ماتت) بدأت تهيم على وجهك كالمجنون.. هل أنت رومانسي دائمًا أم كان هذا بفعل الصدمة؟

تبسم من كلماتي وكأنه يغفر لي كل ما أقول ما دمت حية.. (هذا ما سولت لي نفسي تصديقه)

ثلاث طرقات تبعها دخول والدي العزيز الحاضر الغائب..

قدم هو وإخوتي باقة من الورد.. وصينية فاخرة من الحلوى..

زيارته السابقة حملتني الجزء الأكبر من اللوم.. كان غاضبًا بلا شك..

غاضبًا من تقربي من جواد.. غاضبًا من تفاعلي معه بتلك الليونة..

تحملت قسوته كما تحملتها من قبل وعذرته.. وكعادتي شعرت بموجة ألم بداخلي..

كل ما حدث كان نتيجة لأفعالي بالطبع..

الآن وجدت حنوًّا في عينيه.. ورأفة في نبرة صوته..

لم أعرف إن كنت ذات حظ عاثر أم أنني أوفر حظًّا من جواد الذي كان نصيبه الأسوأ من الآباء.. على الأقل أبي يحمل في قلبه محبة أكثر.. وأنانية أقل..

على الأقل حاول أن يحتوي والدتي إلى حد ما.. على الأقل رباني تربية حسنة.. واهتم بتعليمي والصرف عليّ..

هل هذا كاف؟

ما المطلوب من الأب أن يكون؟؟ هل الحاجات الأساسية هي المطلوبة من الوالد.. أم أن أثره يمتد لأعمق من هذا؟

فكرت في الرجل الماثل أمامي..

بدر.. ليس مثاليًّا بالطبع.. وتعرض لموقف شبيه بوضع أبي من انفصال وفراق عن ولديه..

لكن..

إنني أجد الحب في علاقته بابنيه.. أجد العلاقة التي قد ترقى لكونها علاقة صحية بين الأب وابنته مثلاً..

كان أنانيًّا بلا شك من ناحية علاقته بطليقته.. لكنه كان حاضرًا حقًّا في حياة ابنيه..

أبي وبدر.. بذلا ما يمكنهما للحفاظ على أبنائهما.. من وجهة نظرهما وبناء على خلفياتهما وظروفهما الخاصة..

لسنا من نصنع الظروف لكننا بلا شك نملك حرية التأقلم معها بالطريقة التي تحمي أبناءنا..

قطع حديثنا دخول الممرضة لمساعدتي للنزول لغرفة الأشعة..

قالت بنبرة تفاؤل أحسدها عليها:

- سنذهب الآن لقسم الموجات الصوتية لنطمئن على نبض الجنين..

ذلك المحارب القوي.. طفلي الذي خاض معي معركة ونجا منها..

بطلي.. الحبيب

الفصل الرابع والأربعون:
بودكاست جريمة:

حسنًا جواد.. أكمل من فضلك..

ما هي خطتك الآن؟

- دعني أخبرك بما كانت خطتي..

- حسنًا.. يمكنك البدء من حيث تريد..

- أولاً.. كانت خطتي أن أتخلص من الجثة بدفنها لكن بعد أن أثارت سارة حنقي بذلك الخبر.. أعني خبر

- نعم نعم.. خبر أنها ستتزوج وستنعم بحياة سعيدة بينما ستتعفن أنت في مستنقع التهميش..

- .....

- ما الأمر؟ ألا تريد أن تكمل؟

- بلى.. ولكن هذه آخر مرة أسمح لك فيها أن تتطاول..

- هذا ليس كلامي يا أخي إنها الحقيقة.. ألم يكن هذا ما تشعر به؟

- لست مجبرًا على إكمال الحوار إن كان هذا هو أسلوبك..

- أرجوك أستاذ جواد.. استرح على مقعدك لم أقصد الإساءة..

- .... حسنًا.. نعم.. حينها قررت وضع سارة في إطار الجريمة.. الباقي أظن أنك تعلمه..

- لا، انتظر.. لم تنته القصة.. ماذا عن تلاعبك بهاتف سارة؟

- أها هه هذا.. نعم..

تفاجأت بأن سارة لم تتورط في مقتل العاملة بعد كل هذا التعب..

غضبت.. واغتظت أكثر أنها خرجت من تلك المصيبة بحال أفضل مما كانت عليه..

- هل كنت حقًّا تكرهها؟

- لا.. في الحقيقة لا.. كنت أشعر نحوها بشعور متناقض لأبعد حد.. أحبها كما أحببت أمي.. وأغتاظ من حنوها عليّ.. لماذا تعاملني بهذه الطيبة؟ لماذا تعاملني كأنني ابن لها؟

كنت أحيانًا أخلط بين الشخصيتين.. وفي أحيان كثيرة أتخيلها سعاد..

كنت أبكي الليالي وأدعو الله أن يخرج ذلك الإحساس من داخلي.. إنها ليسا الشخص نفسه.. لكنني ومع هذا أردت لها الدمار كلما رأيت وجهها..

لاحظت أنها تستشيرني في أمور هاتفها.. وتأمنني عليه.. أصبحت أعرف أرقام المرور الخاصة بحسابها.. أصبح لدي مدخل على جميع التطبيقات.. حتى إنني حملت تطبيق التحكم بهاتفها دون أن تدري.. وخبأته داخل أحد الملفات.. بكل سهولة..

بما أنني كنت أعرف بمرضها.. وأنها.. ليست مجنونة لكن تأتيها تلك الأفكار الملحة.. والتي تجعلها دائمًا تشك في نفسها لدرجة فهرية.. إنها تعلم أنها لم ترتكب الجريمة.. لكنني جعلتها بالإثباتات التي رأتها رأي العين تعتقد أنها قد تكون قد انتقلت بمرضها لدرجة الفصام.. أو أن تظن أنها حقًا فعلتها.. لتعترف أخيرًا..

- هل تعرف الفصام؟

- ههه.. تظن أنني جاهل لأنني لم أرتد المدرسة؟ لعلمك.. ثقافتي تضاهي عقلك الصدئ أنت وأمثالك.. هذه المرة الثانية التي تتجاوز فيها الأدب معي..

صدقني أنا متعلم أكثر منك.. وإنسان أكثر منك.. ما ينقصني هو الأوراق..

- عدنا لمسألة الأوراق..

- حسنًا أكتفي بهذا القدر.. لتجد مجرمًا آخر يحكي لك عن أحداث مثيرة..

- استرح يا جواد.. لقد وقعت على (أوراق) تلزمك بإكمال الحديث.

- خلاصة الحديث أنني تحكمت في أفكارها حتى قدتها للجنون.. لكن الوغد زوجها.. بدأ يكتشف أنها معرضة للقرصنة وأنها لا تتخيل..

حتى في هذه الناحية تعد محظوظة.. كل شيء يسير لمصلحتها.. ولم تأخذ جزاءها بعد..

كانت غلطة كبيرة مني أن كشفت عن مكان الساقين.. لم يكن أحد ليشك بي لو لم يجدوا ذلك الأثر.. فالعاملة الملعونة قد حاولت المقاومة دافعة ساقي بظفر قدمها.. لقد ترك الجرح أثرًا على ساقي..

لكنني أردت أن أطيح بسارة بدليل مكشوف..

ولكن حتى هذه الخطوة قد كانت في مصلحتها. فقد أبعدتها عن دائرة الاتهام وقربتني نحوها..

وأخيرًا كانت الطامة حين عرفت أنها ستنعم بحياة هادئة وقد حملت طفلاً بداخلها..

- هل أغضبك حملها بسبب أنها ستنعم بتلك الحياة الرغيدة أم لأنها قد تنجب طفلاً جديدًا للحياة .. أم

لأنك تكره فكرة الحمل أصلاً؟

- لقد اجتمعت علي النوائب..

الحمل بصورته العادية يثير غضبي..

سارة بمنظرها العادي تثير أعصابي

وأخيرًا فكرة سارة وهي حامل.. دفعتني للجنون..

إن أساءت لذلك الطفل.. فهذا سيذكرني بالماضي الأليم..

وإن أحسنت إليه فهذا سيزيدني كمدًا وغيظًا.. لم هو وليس أنا؟

لقد وجدت أنه لا طائل من توريطها في تلك الجريمة.. وقررت أن أنهي الموضوع بطريقتي..

القتل للمرة الأولى كان صعبًا.. لكن المرة الثانية ستكون أسهل.. سأجعلها تنتهي نهاية قد تدل على أنه انتحار..

كما أن عدم وجودي في السجلات سيسهل عليّ التحرك كشبح لا يرى.. لنستفد ولو لمرة من ذلك الـ (لا وجود)..

لكن.. وجدت نفسي أسحبها من موقع لآخر داخل المبنى.. لم يكن الأمر سهلاً كما ظننت.. لم أستطع قتل أمي.. أقصد سعاد.. أو سارة.. بدأت أهدد وأنهار.. سحبتها من مكان لآخر.. ومن غرفة لأخرى..

أردت قتلها في غرفة الأرشيف لخلق مفارقة طريفة. لكن الشرطة عطلت تلك الخطة.. فلجأت إلى طريقة الشباك.. والباقي معروف لديك.

-هل أنت نادم على ما فعلت؟

- لا.. نعم... لا أعلم.... أنت لا تفهم.. ولن تفهم..

الفصل الخامس والأربعون:

بدر..

خرجت سارة من المستشفى لكنها لم تعد إلى المنزل.. لم يعرف بدر ما الذي ارتكبه من أخطاء حتى تعاقبه سارة بعدم عودتها.. لقد زعمت أنها تحتاج لبعض الوقت لتنظيم أفكارها..

كان يريد الاستمرار..

أحس أنها هي من أراد أن يكمل حياته معها..

لأول مرة يحس أنه واثق من شيء يريده..

لم يتغير رأيه ولم يشعر للحظة بالتردد.. ابتسم مع نفسه مرارًا وهو يقارن علاقتيه السابقتين اللتين كانتا شبه كاملتين.. لكنه ومع هذا لم يكن واثقًا نصف هذه الثقة من أن ما يفعله هو الصواب..

بررت له أنها قد فُرضت عليه وأن حياتها مليئة بعقد لا وجود لها في حياته..

- أم مريضة.. وأب غير مسؤول.. وأخ مجرم.. وجريمة قتل.. والأهم من ذلك زوجة مريضة..

أنت لا تستحق كل هذا.

- لا أنتظر منك أي شيء.. أريدك كما أنت بجميع ظروفك..

ولكن.. قد تكون النهاية السعيدة موجودة فقط في الأفلام العربية..

لم تعد سارة..

ماذا عن الطفل؟

مرت 6 أشهر منذ آخر مرة سمع منها..

اعتاد إرسال مبلغ من المال إلى حسابها دون أي تواصل بينهما..

لم تطلب الطلاق ولم يطلقها.. وإن كان الضغط من قبل والديه كبيرًا..

استمرت حياته على وتيرتها وزادته قصته شهرة.. وبدأ بإكمال كتابه.. كما أنه اختار مكتبًا في أحد المباني الإدارية ليفتتح مؤسسته الخاصة.. وسيبدأ العمل على تجهيزه قريبًا..

كل شيء بدأ يعود إلى نصابه.. لو استطاع نسيانها لتحسن كل شيء..

كان يجلس في ذلك المقهى الذي يوفر مساحة مكتبية هادئة بمقابل شهري لإتمام عمله.. والذي أصبح إدمانه الجديد.. سيكمل اليوم ثلاثة أشهر وهو يداوم يوميًّا في المكان نفسه..

سمع طرقًا بالقرب من المكتب وكأن أحدًا يناديه.. اشتم عطرًا مميزًا... فتلاحقت أفكاره.. أين اشتم هذه الرائحة من قبل؟

- ريفان؟

إنها هنا.. كاملة.. بلا مشكلات ولا عقد.. تريده بكل ما فيه

رغمًا عن كل شيء.. استقامت أمامه ودعت نفسها لكوب من القهوة معه. طلبه لها بإحراج..

أخذت تتحدث وكأنها وجدته مصادفة لكنه يعرف أنها أتت عن قصد.. لا بأس.. لا يهم.. إنها تحبه..

لقد كان يظن أنه يحبها.. ولكن..

هل الحب ضروري؟

يجب أن يستقر ويولي رعاية لابنيه ويعود للحياة من جديد..

وطفله القادم.. سيحاول أن يكون له خير أب.. فتلك هي الظروف المتاحة.. أصابته قشعريرة عندما تخيل إن كان قد أنجب من ريفان أيضًا؟؟

هل سيصبح له أبناء مختلفون في بيوت مختلفة؟

هل من الضروري الزواج أصلاً؟

أخذت أفكاره تبحر به وتتقاذف أمواجها وهو ينظر إلى ريفان ودلالها وغنجها..

لكن نظر إلى هاتفه فوجد اتصالاً جحظت له عيناه..

- سارة!!

قاطعته ريفان:

- لو سمحت أنا ريفان..

وقف بقوة ورد على اتصال سارة ناظرًا إليها وهو يتحدث عبر الهاتف:

- هل أنت بخير؟

- اليوم تم قصاص جواد..

انتفض من مكانه.. لقد عرف ما تحس به.. إنها حساسة رقيقة لن تحتمل هول الخبر.. نظر إلى ريفان التي بادلته النظر بدورها.. ألقت ابتسامة ساخرة وقالت..:

- سارة.. دومًا سارة..

- أعتذر يا ريفان.. إنها حالة طارئة إنها تحتاج لشخص بجانبها.. إنها ضعيفة.. لا تستطيع...

أسكتته ريفان بإشارة من يدها ورشفت رشفة طويلة من قهوتها المثلجة.. قالت:

- لا تبرر يا بدر.. ولا تضع لي أي أعذار.

فكما لا أفهم لم أنا متمسكة بك رغمًا عن كل شيء.. أستطيع أن أفهم لم أنت متمسك بها..

لم يعر حكمتها اهتمامًا.. كل ما يدور في رأسه هو سارة..

قاد سيارته باتجاه منزل والدها وجدها تنتظره عند عتبة المنزل..

بادرته عندما توقف بقوة مخلفًا غيمة من التراب..:

- يبدو أننا سنفقد الطفل أيضًا.. أعاني من نزيف..

الفصل الخامس والأربعون:
بودكاست جريمة:

أسعد الله أوقاتكم.. ما زلنا في سلسلة الجرائم النفسية الأكثر شهرة في مجتمعنا.. وما زلنا نتابع قضية المجرم جواد..

جميل أن لدينا كفاءات أمنية صارمة استطاعت الكشف عن هذه الجريمة المعقدة والتي تكمن صعوبتها في عدم وجود هوية لدى المجرم..

كما أنه تم الإعلان عن تنفيذ حكم القصاص في حق المجرم..

نستضيف معنا اليوم الأخت غير الشقيقة للمجرم جواد والتي كانت ضحية مباشرة لأفعاله.. ما جعلنا نهتم باستضافتها الأمور الغريبة التي زودتنا بها الضحية والتي تجعلنا نفكر في الظروف التي تصنع المجرمين..

الفصل السادس والأربعون:
سارة..

شعور غير مبرر اجتاحني حينما ورد اسم جواد في نشرة تنفيذ القصاص..

صرخت كثيرًا.. حتى حضر كل من في المنزل لنجدتي.. حاولت عفاف تهدئتي قائلة:

- سوف تثيرين عصبية أبيك بهذا الانفعال.. تعرفينه وتعرفين موقفه من هذا الموضوع.. وسمعتها ونظرت إليها وكأنني أنظر من خلال حاجز زجاجي..

صوتها يصل بشكل مكتوم..

لم يسكتني من صراخي ونواحي سوى رؤية إخوتي وقد أثرت الذعر فيهم.. لسنا في مجال لصنع المزيد من العاهات النفسية..

ضممت أختي الصغيرة وهمست لها ألا تخاف.. وأخبرتها بأنني أعاني من ألم في بطني..

وكأن الفكرة أعجبت جسدي.. وبدأت أحس فعلاً بألم يجتاح أسفل بطني.. هل أنا أتألم فعلاً؟

ظهرت زوجة أبي بيدها كأس من مشروب الأعشاب.. ولم تعرف ما تقول..

لم أعرف ما أفعل أنا.. أين أذهب.. لقد ذهب جواد.. لم تكن حياته جيدة.. ولم يكن ما أصابها من تشويه قابلاً للإصلاح..

لكنني مع ذلك.. تذكرت نظراته.. تذكرت كلماته.. عن العنف الذي رآه والتهميش والقسوة وسوء المعاملة.. لم يكن يومًا أحد في صفه.. لم يكن مرغوبًا به من أحد.. عاش نكرة ومات مجرمًا..

رفعت هاتفي وبدون تفكير بدأت أبحث عن الرقم الذي حظرته من قائمتي منذ أشهر..

بدر..

ضربات سكين تنغرس في بطني.. مترافقة مع ومضات كثيرة..

جواد يتناول الدجاج.. ألم يعصف بي ويصل لأطرافي .. ساقي.. ظهري.. ونظرات جواد الباكية تنظر لي..

كنت أود أن أصلح من حاله وفشلت.. آه..

كنت أريد أن أثبت له أنه شخص طيب..

اندفاع شيء داخلي جعلني أئن.. تمسكت بطرف المقعد وبدر يقود السيارة وينظر لي بطرف عينه.. صرخت فيه...

- بسرعة!.. لم أنت بطيء؟

نظرت إلى الدماء التي ملأت السيارة.. أحسست أنني أغرق.. ما زال وجه جواد يلوح أمامي.. وما زال الألم يزداد..

آآآآآآآآآآآآه

كلمات بالإنجليزية بدأت أسمعها وأنا على سرير المستشفى فهمت بعضها ولم أع أكثرها:

HR , BP , RR, .

c-section

سي سكشن.. هذا ما فهمته.. .. لا لا أريد أن ألد.. طفلي الذي تحمل كل شيء .. لم يحن موعد ولادته بعد.. يجب أن ينتظر..

ما زالوا يتحدثون بالإنجليزية ولم أعد أعي ما يقولون.. النزف يزداد.. والرؤية أصبحت ضبابية.. بدر..

- بدر.

همست..

اقترب مني وهو يستمع لكلمات الأطباء الذين أصبحوا يضعون الأجهزة والأسلاك حولي..

- لا أريد أن أموت..

- لا أريد له أن يموت..

لم أسمع ما يقول.. لكنني أحسست بالراحة.. لأنني بدأت أستسلم للا شيء..

الخاتمة...

بدر:

نظر حوله إلى الساحة الكبيرة المغطاة بالنجيل الأخضر.. وأمعن النظر في حمام السباحة بلونه المميز..

لقد كانت سارة على حق في اختيار هذا اللون من البلاط..

فقد بدت له المياه بلون خيالي لا يراه إلا في صور المنتجعات البعيدة..

تأمل الفيلا الكبيرة والنوافذ الزجاجية من الخارج..

يحتاج أن يطلب بعض العمال لتنظيفها..

ما زال البيت يحتاج للمزيد من الترتيب لكنه..

بيت الأحلام ومنزل العمر..

- بابا.. بابا.. هل نسبح الآن؟

حمل ابنه الصغير ذا السنوات الثلاث وطبع قبلة كبيرة على خده.. وقال..:

لن تسبح حتى ينزل معك أخواك.. إن ماما لن تسمح لك بالنزول وحدك.

- لكنني أجيد السباحة..

- وإن يكن..

صرخت سارة من بعيد..:

لقد حضرا.. إنهما هنا...

دخل براء ومودة وهما يبتسمان عند رؤية كل شيء.. أراد لابنيه أن يعيشا معه.. لكنه لم يرد أن يحرمهما من والدتهما.. فجهز لهما غرفتين متكاملتين في الفيلا للمكوث فيهما متى ما أرادا..

من ضمن الدروس الكثيرة التي تعلمها من سارة.. ألا يكون أنانيًا.. وأن يحترم منزلته كأب.. ارتاح عندما وجدها تعامل ابنيه بتلك الطريقة.. وارتاح أكثر عندما كان يرى في نظرتيهما شيئًا مختلفًا عما كان يراه منهما تجاه ريفان..

فاقد الشيء لا يعطيه؟؟

بل يعطيه ويعطيه..

ترددت سارة في العودة إليه.. لم تكن ترغب في أن تكون عبئًا بمرض نفسي تجعل حياته مستحيلة.. لكنه أخبرها أنها أعقل من ألف ألف شخص ظن أنه سليم نفسيًا بينما يعاني من أمراض لا حد لها..

صحيح أنها قد تعيده إلى المنزل من أجل الاطمئنان على السخان..

أو أنها تتصل من آن لآخر للتحقق من أن مكواة الشعر مفصولة عن المقبس..

صحيح أنها تخاف على الطفل عندما ترى قرصة بعوض بسيطة على يده وتبدأ بتهيئة نفسها لشيء أكبر..

لكن لا بأس.. فمع العلاج الدوائي والاستمرار عليه، ومع العلاج السلوكي تعلمت سارة أن تتعايش مع تلك الأفكار وتتجاهلها دون محاولة صدها حتى تذهب إلى غير رجعة.

سارة شخصية بسيطة تحتاج فقط إلى شيء واحد..

الحب.

امرأة مثلها أضافت لحياته شكلاً آخر.. عدلت من شخصيته.. بكل بساطة.. وبدون ضغط وبلا أي شروط.. وأخيرًا وصل إلى التوازن والرضا. وجد نفسه أخيرًا أبًا محبًّا وزوجًا مخلصًا وفردًا سويًّا في الحياة..

من يملك المرض النفسي ليس عبئًا.. لكن احتواء من حوله له هو من يجعله ملاكًا أو مجرمًا..

وسارة هي ملاكه..

انتهت

2024 مايو